

إِطْلَالاتٌ مُخْتَارَةٌ

حِوَارٌ مَعَ نُصُوصٍ أَدَبِيَّةٍ مُتَنَوِّعَةٍ

عمرو منير محمد

بطاقة الكتاب:
اسم الكتاب: إطلالات مختارة
اسم الكاتب: د/ عمرو منير
نوع الكتاب: نصوص أدبية متنوعة
عدد الصفحات: 175 صفحة
المقاس: 14x 20
رقم إيداع:
الترقيم الدولي:
الطبعة: الأولى، 2023م

رئيس مجلس
الإدارة
مها المقداد

للتواصل والطلب من داخل أو خارج مصر:
00201129195867-00201033966291

الغلاف والتنسيق الداخلي والمراجعة
فريق دار المصرية السودانية الإماراتية للنشر والتوزيع

أقر المؤلف بأنه وحده صاحب الحقوق الفكرية للكتاب، وأنه يضمن للناس عدم التعرض من الغير بخصوص الملكية الفكرية، كما صرح أن هذا الكتاب ليس في مضمونه ما يمنعه القانون، وأن الآراء والأفكار التي يتضمنها محتوى الكتاب تعبر عن فكر المؤلف فقط ولا يعبر عن رأى الناشر، ولا يوجد داخل الكتاب نقل أو استعارة بما قد يعرض الناشر للمسؤولية القانونية.

فريق عمل
دار المصرية السودانية الإماراتية للنشر والتوزيع

فريق عمل
سحر الروايات - ShrElRawayat

تصميم غلاف:

تدقيق لغوي:

التنسيق الداخلي: نـرمين سـرور



دار المصرية السودانية الإماراتية للنشر والتوزيع-مها المقداد



+201289024055



Mahaelmukdad@gmail.com



الإهداء

إلى أوراقِ الكُتُبِ ، وَمَا تَحْمِلُهُ مِنْ عَبَقِ الكَلِمَاتِ الَّتِي تَعَكْسُ فِي هُدُوءِ

رُوحًا نابضةً بالحياةِ، وخلاصةً عقولٍ متوهّجةٍ ؟؟؟؟

شُكْرٌ، وَتَقْدِيرٌ

- إلى كافة المبدعين الذين تناولت أعمالهم صفحات هذا الكتاب ، وفي مقدّمهم الكاتبة الكبيرة الأستاذة (نادية شكري) التي ساهمت بالتوجيه ، والإرشاد بالإضافة إلى اقتراحها فكرة الكتاب ، والتقديم له ، والتي لولاها لم يكن هذا الكتاب ليرى النور .

- إلى الشاعر (محمد فاروق) رئيس نادي أدب سوهاج الذي قام بتدقيق الكتاب لُغَوِيًّا ، ورافقني لحظاتٍ مخاضه .

- وأخيرًا إلى رُوح والدي رحمه الله ، والذي لولاه ما كنتُ متدوّقًا للمعرفة ، ولا شعرتُ بنشوتها .

عمرو منير محمد

سوهاج 2024

تقديم بقلم الروائية الكبيرة أ/نادية شكري

دائما كنتُ " أحسدُ " الدكتور/ عمرو منير على الاستخدام الأمثل والممتلي للوقت بل أراه ، وكأنه يختَرُ الوقتَ اللازمَ ليُكفِيه في الجامعة بوصفه أكاديمي ، وفي عيادته بوصفه طبيب عيون ، أو في أثناء تناوله لقراءة المجموعات القصصية ، والروايات حديثها ، وقديمها ، والأكثر من ذلك كتابته فورَ قراءة العمل الأدبي إذا ما كان جيِّداً.

وسببُ سعادتي بهذا الكتاب هو معرفتي بالواقع الأدبي منذ عقود ، فعدُّ النقاد الجادين المثقفين في بلادنا لا يتعدى أصابع اليد الواحدة ، وبدون ذكرِ أسماء.

رغم أنه في أوائل الأربعينيات من عمره إلا إنَّ الدكتور عمرو منير ، وبلا حسد ، يقوم بدور مؤسسة ثقافية ، وأدبية كاملة من حيث إحاطته بكلِّ ما يصدر من أعمال قراءة ، ونقدًا ، ويسلِّطُ الضوءَ على الأقلام الجيدة داعماً لها ، ومشجِّعاً ، يحدث هذا في وقتٍ تنخر فيه حشرةُ الشللية في المجتمع الثقافي على اتساعه ومنذ الستينيات ، والشواهدُ على ذلك كثيرة ، فنرى الندوات ، والإشادات بنصوص ضعيفة في أكثر من محفل ، في حين يتم التعتيُّمُ على أعمالٍ جيدة ، وليست لأنصافِ كُتَّاب ، والأمثلة هنا أيضاً واضحةٌ يعرفها صاحبُ كلِّ قلمٍ جادٍ في واقعنا الثقافي .

وسيدرك القارئ سبب امتناني لصدورِ مثلِ هذا العملِ بعد قراءته له .

كل التوفيق لكم دكتور / عمرو ، ودائم القدرة على "اختراع" الوقتِ لتسعدنا كُتَّابًا
وقُرَّاءً .

بقلم الروائية

نادية شكري

مقدمة بقلم الكاتب

كَانَ الْكِتَابُ ، وَلَا يَزَالُ هُوَ الْمَصْدَرُ الْأَهَمُّ لِلْمَعْرِفَةِ ، وَالثَّقَافَةِ الْإِنْسَانِيَةِ بِكَافَّةٍ صُورَهَا سَوَاءً الْوَرَقِيَّةِ ، أَوْ الرِّقْمِيَّةِ فَهُوَ يُمَثِّلُ الْعَصَاةَ الْفِكْرِيَّةَ ، وَالْبَصْمَةَ الْمَعْرِفِيَّةَ لِلْبَشَرِيَّةِ ، وَالَّذِي مِنْ خِلَالِهِ يَتِمُّ نَقْلُ الْخَبَرَاتِ ، وَتَوْثِيقُ الْمَعَارِفِ عَبْرَ الْأَجْيَالِ وَالْأَزْمَانِ ، وَلَمَّا كَانَتْ قِرَاءَةُ الْكُتُبِ تَتَنَاقَصُ بِشَكْلِ مَلْحُوظٍ لِحَسَابِ التَّصَفُّحِ السَّرِيعِ لِمُتَّحِنَاتِ الشَّبَكَةِ الْعَنَكُوتِيَّةِ ، وَالَّتِي تَحْمِلُ سِيْلًا كَامِلًا مِنَ الصَّبِيغِ الْمُخْتَلِفَةِ ، وَالْمُنْتَوَعَةِ اللَّغَاتِ لِلْفِكْرِ الْإِنْسَانِيِّ مِنْ حِوَارَاتٍ ثَقَافِيَّةٍ ، وَنَقْدِيَّةٍ مَرْتَبِيَّةٍ وَمَسْمُوعَةٍ مُرَكَّزَةٍ ، وَسَرِيعَةٍ ، وَسَهْلَةٍ الْاسْتِسَاعَةِ . لِذَا كَانَ مِنَ الضَّرُورِيِّ ، وَالْوَاجِبِ تَأْكِيدُ أَهْمِيَّةِ الْكِتَابِ كَوَسِيلَةٍ أَصِيلَةٍ لِلْمَعْرِفَةِ ، وَالتَّطَوُّرِ الْإِنْسَانِيِّ . لِذَلِكَ فَتَنَاولُ مَحْتَوَى عَدَدٍ كَبِيرٍ مِنَ الْأَعْمَالِ الْأَدْبِيَّةِ ، وَالْفِكْرِيَّةِ بِطَرِيقَةٍ مَكْتَفَةٍ ، وَمُلَخَّصَةٍ ، وَدَقِيقَةٍ . هُوَ وَسِيلَةٌ مِنَ الْوَسَائِلِ الْفَعَّالَةِ لَجَلْبِ الْقُرَّاءِ مَرَّةً أُخْرَى إِلَى ضِفَافِ الْمَعْرِفَةِ الْمَكْتُوبَةِ ، وَالَّتِي تَتَاكَلُّ يَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ ، وَتَذُوبُ لِحَسَابِ "التَّكْنُولُوجِيَا" الْمَعْرِفِيَّةِ الْمُبْهَرَةِ !

هَذَا الْكِتَابُ هُوَ مُحَاوَلَةٌ جَادَّةٌ ، وَعَمَلِيَّةٌ لِعُبُورِ تِلْكَ الْهَوَّةِ بَيْنَ جُمْهُورِ الثَّقَافَةِ ، وَ الْكُتُبِ الَّتِي كَادَتْ أَنْ تُصْبِحَ مِنَ الْأَطْلَالِ فِي وَقْتِنَا الْحَالِيِّ ، وَلِذَا فَإِنَّ هَذَا الْكِتَابَ الْمُنْتَوسَطَ الْحَجْمِ يَضُمُّ بَيْنَ طَيَّاتِهِ رُؤْيَاً نَقْدِيَّةً انْطِبَاعِيَّةً عَنْ عَدَدٍ لَا بِأَسَ بِهِ مِنَ الْأَعْمَالِ الْأَدْبِيَّةِ ، وَالَّتِي صَدَرَتْ فِي مِصْرَ ، وَالْعَالَمِ الْعَرَبِيِّ عَلَى فِتْرَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ

، وكانت الصُدْفَةُ وحدها هي السبب الرئيسي في إطلاقي على تلك الأعمال ،
والتي وَجَدْتُ فيها شيئاً يستحقُّ الكتابةَ و ، التوثيق .

سيلاحظُ القارئُ أنَّ معظمَ الأعمالِ المتناوَلَةِ بالنقدِ كَتَبَهَا مجموعةٌ من المُثَقِّفِينَ الذين
لا ينتمونَ لمشاهيرِ الكُتَّابِ بالمعنى التجاريِّ مع أنَّهم من الأدباءِ ، والمفكرينَ الكبارِ
، فَهمُ مسلَّحُونَ بدرجةٍ عاليةٍ من المعرفةِ ، والثقافةِ ، ويتناوَلِي لأعمالِهِم حاولتُ أنْ
أُلْقِيَ الضَّوْءَ على مجتمعٍ أدبيٍّ يعيشُ في الظِّلِّ ، ولمْ يَنَلْ حتى الآنَ من التقديرِ و
الشهرةِ ما يستحقُّ .

يحملُ الكتابُ وجبةً نقديةً متنوعةً من نقدِ روايةٍ ، وقصصٍ قصيرةٍ ، ومسرحٍ مكتوبٍ
ومعروضٍ ، وكتبٍ فكريةٍ لمفكرينَ غربيينَ ، وعربٍ .

كلُّ هذا تَمَّتْ كتابتُهُ خلالَ فترةٍ من الزَّمنِ ، فَعَبَّرْتُ عن الاهتماماتِ الثقافيةِ المتقلِّبةِ
المزاجِ لكاتبٍ هاوٍ يجدُ أنَّ الكتابَ هو الوسيلةُ الأهمُّ لتوثيقِ انطباعاتِهِ عن انتاجاتِ
إنسانيةٍ معرفيةٍ مختلفةٍ الأشكالِ ، والألوانِ بشكلٍ مُركَّزٍ سريعِ الإيقاعِ ليتناسبَ مع
جمهورِ القُرَّاءِ الذينَ جذبَتْهُمُ "التكنولوجيا" المعرفيةُ ، وأدواتُها بعيداً عن رائحةِ
وَرَقِ الكُتُبِ العتيقةِ الرَّاحِزةِ بِرَحِيْقِ الفِكرِ الإنسانيِّ الرَّاقِي .

سوهاج ٢٠٢٣

عمرو منير محمد

هل نسي الأَدبُ المصريُّ نصرَ أكتوبر المَجد...؟



بالرغم من ثقل هزيمة عام (١٩٦٧) ، والتي تحوّلت إلى نكسة بعد أن استفاق الشعب المصري منها بسرعة لتبدأ بعد أيام منها الدولة المصرية في كتابة أول حروف حرب الاستنزاف الباسلة ، والتي كبّدت العدو الصهيوني خسائر فادحة امتدّت لسنواتٍ تمّ خلالها الإعداد المتأني ، والمثابرة لعبور القناة وخط "بارليف" الذي حال بيننا ، وبين تراب (سيناء) المقدّس حتّى جاءت اللحظة الحاسمة من خلال جنود من أبناء المصريين الذين صنعوا بروح الثائر نصر أكتوبر الذي طال انتظاره .

بينما كان نصر أكتوبر لحظة فارقة في تاريخ المصريين ، والعرب بشكل أشمل إلا أن ما عبّر عن تلك اللحظة الحرجة من الأدب المصري لم يكن متناسقاً مع حجم التضحيات البشرية المبذولة ، والتكاثف الشعبي ، ومما لا يشرح الحالة الدقيقة لقسوة العيش في وطنٍ اغتصب جزءاً من أرضه غنوة وتاه أبنائه من المحاربين في صحراء غاصبة من هذه النكسة النكراء!

يتوافق هذا الطرح مع رأي بعض النقاد مثل مقال الناقد (عطا درغام) المنشور في (الحوار المتمدّن) بتاريخ (2 مارس عام 2022 م) ، والذي أكّد فيه أن أدب أكتوبر قد تخلف عن مواكبة الحدث فجاء الإبداع المتعلّق بما في بداياته في شكل مقالات قصيرة ، والقليل من القصائد ، والقصص التي اتّسمت بالطابعين الانفعالي ، والحماسي مفسّراً ذلك بأن الإبداع الأدبي المركّب يحتاج إلى ما هو أكبر من الاندفاع الشعوري ، والانفعال المتحمّس .

تَجَنَّبَ كِبَارُ الْكُتَّابِ فِي الْوَقْتِ الْمُبَاشِرِ التَّالِي لِلْحَرْبِ تَنَاوُلَ أَجْوَاءِ حَرْبِ أَكْتُوبرِ فِي عَمَلٍ أَدَبِيٍّ وَاكْتَفَوْا بِالْمَقَالَاتِ الَّتِي عَبَّرَتْ عَنْ انْهَارِهِمْ بِهَذَا النَّصْرِ مِنْ هَوْلَاءِ الْأَدْبَاءِ ، وَالْمُفَكِّرِينَ الْكِبَارِ (نَجِيبٌ مَحْفُوظٌ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ الشَّرْقَاوِي وَتَوْفِيقُ الْحَكِيمِ وَيُوسُفُ إِدْرِيسَ) حَيْثُ أَدْرَكُوا أَنَّ تَنَاوُلَ هَذَا الْحَدَثِ الصَّخْمِ لَنْ يَتِمَّ عَلَى عَجَلٍ خُصُوصًا وَمَا يَحِيطُ بِهِ مِنْ أبعادٍ سِيَاسِيَّةٍ ، وَاجْتِمَاعِيَّةٍ ، وَاقْتِصَادِيَّةٍ مُتَشَابِكَةٍ ، وَمَعْقَدَةٍ .

رواية "الرصاص لا تزال في جيبي" للكاتبِ الرَّاحِلِ (إحسان عبد القدوس) كانت من النماذج الأدبية الأولى الَّتِي كُتِبَتْ عَلَى مَرَحَلَتَيْنِ الْمُرَحَلَةِ الْأُولَى تَنَاوَلَتْ أَسْبَابَ الْفَسَادِ السِّيَاسِيِّ وَالْاجْتِمَاعِيِّ الَّذِي أَدَّى إِلَى النِّكْسَةِ وَنَشَرَهَا الْكَاتِبُ تَحْتَ عُنْوَانِ "رِصَاصَةٌ وَاحِدَةٌ فِي جِيبي" ثُمَّ عَقِبَ حَرْبَ (٧٣) جَاءَتْ الْمُرَحَلَةُ الثَّانِيَةُ الَّتِي تَنَاوَلَتْ الْعُبُورَ الْمَجِيدَ لِتَتَحَوَّلَ الرِّوَايَةُ إِلَى فِيلِمٍ سِينِمَائِيٍّ تَحْتَ نَفْسِ الْاسْمِ .

بعد سنواتٍ من حربِ أَكْتُوبرِ ، وَبَعْدَ أَنْ بَدَأَ الْمُتَقَفُّونَ الْعَرَبُ فِي اسْتِيعَابِ مَا حَدَثَ فِي أَيَّامِ الْعُبُورِ .. تَدْرِيجِيًّا ظَهَرَ إِلَى سَطْحِ السَّاحَةِ الْأَدَبِيَّةِ الْعَرَبِيَّةِ مَجْمُوعَةٌ مِنَ الصَّنُوفِ الْإِبْدَاعِيَّةِ مِنْ شَعْرِ ، وَقِصَّةٍ قَصِيرَةٍ ، وَرِوَايَةٍ وَمَسْرَحٍ ، وَالَّتِي صَدَرَتْ تِبَاعًا عَقِبَ الْإِنْتِصَارِ وَإِنْ كَانَ بَعْضُهَا جَاءَ فِي صُورَةٍ تَوْثِيقِيَّةٍ كَمَا فِي الْمَجْمُوعَةِ الْقِصَصِيَّةِ لِلْكَاتِبِ الرَّاحِلِ (جَمَالُ الْغِيطَانِي وَ الْمَعْنُونَةُ بِاسْمِ حِكَايَاتِ الْغَرِيبِ ، وَالَّتِي صَاغَهَا الْكَاتِبُ مِنْ وَحْيِ عَمَلِهِ كِمَرَاثِلِ حَرْبِيٍّ أَثْنَاءَ الْمَعْرَكَةِ مِمَّا أَعْطَاهُ الْقُدْرَةُ عَلَى رَسْمِ الشَّخْصِيَّاتِ

، والتي كَانَ معظمُهَا مِنَ البُسْطَاءِ و جَاءَ الغَرِيبُ لِيَكُونَ رَمْزًا لِأَيِّ مِصْرِيٍّ مِنْ أَهْلِ
هَذَا الْبَلَدِ يَتَحَوَّلُ فِي وَقْتِ الْحَرْبِ إِلَى مَقَاتِلٍ شَرِسٍ يَدَافِعُ عَنْ وَطَنِهِ وَقَتَ الْحَرْبِ
لِيَتَحَوَّلَ إِلَى أَيْقُونَةٍ مُحَلِّيَةٍ لِفِدَائِيٍّ يَتَنَاقَلُ سِيرَةَ بَطُولَاتِهِ أَهْلُ السُّوَيْسِ الْبَوَاسِلِ .
وَبِالإِضَافَةِ إِلَى حِكَايَاتِ الْغَرِيبِ فَجَاءَتْ رَوَايَةُ (الْغِيْطَانِي) "الرِّفَاعِي" التَّوْثِيقِيَّةُ لِتَتَنَاوَلَ
سِيرَةَ الْعَمِيدِ الرِّفَاعِيِّ وَالَّذِي اسْتُشْهِدَ أَثْنَاءَ إِحْدَى الْعَمَلِيَّاتِ الْفِدَائِيَّةِ خَلْفَ حُطُوطِ
الْعَدُوِّ بَعْدَ أَنْ كَبَدَ الْعَدُوُّ خَسَائِرَ فَادِحَةٍ !.

وَبَعِيدًا عَنْ الرُّوْحِ التَّوْثِيقِيَّةِ لِلْسَّرْدِ فَقَدْ تَوَالَى بَعْدَ الْحَرْبِ عَدَدٌ مِنَ الْأَعْمَالِ الْأَدْبِيَّةِ مِنْ
قِصَّةٍ ، وَرَوَايَةٍ ، وَمَسْرَحٍ ، وَالَّتِي قَرَّبَتْ الْحَرْبَ مِنْ أَبْعَادِهَا الْعَمِيقَةِ حَيْثُ حَلَّلَتْ
أَسْبَابَ الْهَزِيمَةِ فِي مُخْتَلَفِ صُورِهَا مِنْ أَسْبَابٍ اجْتِمَاعِيَّةٍ ، وَسِيَاسِيَّةٍ ، وَاِقْتِسَادِيَّةٍ
وَصُورًا إِلَى مَرَاكِحِ الْإِسْتِعْدَادِ لِلْحَرْبِ مِنْ اسْتِدْعَاءِ رُوحِ الْمَقَاوِمَةِ ، وَالتَّعْبِئَةِ الْجَمَاهِيرِيَّةِ
الْحَقِيقِيَّةِ الْبَعِيدَةِ عَنْ "الْبُرُوجَانْدَا" الْإِعْلَامِيَّةِ مِنْ أَمْثَلِ هَذِهِ الْأَعْمَالِ الْأَدْبِيَّةِ الْعَمِيقَةِ
الطَّرْحَ لِنَلِكِ الْأَبْعَادِ السَّابِقِ ذَكَرُهَا رَوَايَةُ الْأَدِيبِ الْكَبِيرِ (يُوسُفُ الْقَعِيدِ) "الْحَرْبُ فِي
بِرْمِنْغَامٍ" ، وَالَّذِي حَلَّلَ مِنْ خِلَالِهَا الْقَرْيَةَ الْمِصْرِيَّةَ بِشَكْلِ يُوَضِّحُ الْخَلَلَ الْهَيْكَلِيَّ فِيهَا
مِنْ عُمْدَةٍ فَاسِدَةٍ يَنْتَمِي لِعَائِلَةٍ عَرِيقَةٍ يُقَرَّرُ إِرسَالُ شَابٍّ يَنْتَمِي إِلَى فُقَرَاءِ الْفَلَاحِينَ
بَدَلًا مِنْ ابْنِهِ إِلَى الْحَرْبِ بَعْدَ أَنْ اسْتُخْدِمَ كَأَفَّةٍ أَدَوَاتِهِ "الْبِيرُوقْرَاطِيَّةُ" لِلتَّلَاعُبِ فِي
الْأَوْرَاقِ الرَّسْمِيَّةِ ، وَمِنْ خِلَالِ الْأَحْدَاثِ يَتَبَيَّنُ لِلْقَارِئِ أَنَّ سَبَبَ الْهَزِيمَةِ الْحَقِيقِيَّ لَيْسَ
صَدَفَةً أَوْ مُؤَامَرَةً وَلَكِنَّهُ مُتَوَقَّعًا فِي ظِلِّ طُغْيَانٍ مَنَاحٍ مُلَوِّثٍ قِيَامُهُ الْقَهْرُ ، وَالْفَقْرُ

، والتَّهْمِيشُ !.

ومن الروايات التي عاشَ صاحبُها أجواءَ حربِ أكتوبر كمقاتل رواية " دَوِي الصَّمْتِ " للكاتبة الضَّابطِ الْمُتَقَاعِدِ (علاء مصطفى) ، والرواية صَدَرَتْ في وقتٍ متأخِّرٍ بعدَ عُقُودٍ من نصرِ أكتوبر عام (1995 م) بالرغمِ من معايشةِ الكاتبِ لأحداثها

، ولكنَّ العملَ لم يحملِ الرُّوحَ التوثيقيةَ فحسبَ بل امتدَّ لتقييمِ الحربِ نفسها بشكلٍ إنسانيٍّ بعيدٍ عن الانتماءاتِ ، وكونها تحملُ الكثيرَ من الأهوالِ ، و المآسي ، وهنا يَنْضِحُ نضجُ الكاتبِ ، وابتعادهُ عن الخطابِ الإنشائيِّ الفخوريِّ بالنصرِ .

وبالعودةِ إلى التناوُلِ الوثائقيِّ للعبورِ فقد جاءتْ قصةُ " الخروجِ من حفرِ الدفاعِ السليبي "، لتكونَ سيرةً مباشرةً صاغها الجنديُّ السابقُ (حسن عطية) أحدُ المقاتلينَ الذين عملوا على إدارةِ بطارياتِ صواريخِ "سام7" وساهموا في تأمينِ عمليةِ العبورِ لقواتنا الباسلةِ ، عن طريقِ صيدِ طائراتِ العدوِّ .

ومن الرواياتِ الحديثةِ نسبياً ، والتي تناولتْ الحربَ ، ولكنْ هذه المرةَ حاولَ كاتبُها التعرُّضَ لأبعادٍ جديدةٍ في معركةِ أكتوبر رواية " زهر الخريف " للكاتبِ "عمار علي حسن" ، الذي صاغَ روايتهُ في إطارٍ من الوحدةِ الوطنيةِ حيثُ يحاربُ صديقانِ جنباً إلى جنبٍ في صحراءِ سيناءَ أحدهما مسيحيٌّ والآخرُ مسلمٌ و تنتهي الروايةُ باستشهادِ

كلّ منهما في ظروفٍ مختلفةٍ ، ويتحقّق النّصرُ ، ولكنّ دونَ أن يعودا به إلى موطنهما فقد ضحّيّا بحياتيهما من أجلِ هذا الهدفِ السّامي .!

مع تقادّم الزّمنِ فإنّ حدثَ أكتوبر الضخم يكشفُ عن نفسه ، وعن العديد من الأحداثِ الحقيّةِ عن الجمهورِ ، والتي أكّدت تلكَ الروح القتالية العالية للجندي المصري ، ومثال ذلك رواية " موسم العنف الجميل " لـ (فؤاد قنديل) الصادرة عام (٢٠١٢ م) ، والتي صاغها الكاتبُ بناءً على استماعه لشريطٍ مسجّلٍ استمع خلاله لجنديّ إسرائيليّ يرسلُ رسالةً صوتيّةً إلى أسرته ، ويستغيثُ فيها بقادّته بعدما داهمته النيرانُ داخلَ حصنٍ منيعٍ لا تؤثّرُ فيه الصواريخُ ، ومن خلالِ الأحداثِ يتبيّن للقارئِ مدى الرُعبِ الذي عاشه جنودُ العدوِّ أثناء المعركة .!

لم يغب المسرحُ المصريُّ عن مشهدِ حربِ أكتوبر ؛ وإن كان قد بدأ في تناول المعركة ، وتوقّعها قبل حرب (٧٣) عن طريقِ التعرّضِ لأسبابِ النّكسةِ النّكراءِ مثل مسرحية "أغنية على الممر" لـ (علي سالم) ، ومسرحية "كوابيس في الكواليس" لـ

(سعد الدين وهبة) ، ومسرحية "رسالة إلى جونسون" تأليف (عبدالرحمن الشرقاوي) ، وقد تميّزت معظمُ تلكَ الأعمالِ بقوة النّقْدِ المُبطّنِ للأوضاعِ وقتها ، وبعدَ مفاجأة حرب أكتوبر انبرى الكتّابُ في تأليفِ العديد من المسرحياتِ بشكلٍ عاجلٍ لمواكبة الحدثِ كما حدثَ مع الروايةِ فتمّ عرضُ العديد من المسرحياتِ التي تميّزت بالمباشرة في الطّرحِ مثل مسرحية "أقوى من الزمن" تأليف (يوسف السباعي) ، ومسرحية

"صلاح الدين" لـ (محمود شعبان) ، ومسرحية "سقوط خط بارليف" لـ (هارون هاشم) ، وغيرها من الأعمال التي توالَتْ بعد نصر أكتوبر مباشرة لِيَخْفُتَ بعد ذلك أثرُ الحربِ في الأعمالِ الأدبية لتصطبغ المسرحياتُ بعد ذلك بنكهة الانفتاح الاقتصادي ، والتغيرات المجتمعية الحادثة . وَلَعَلَّنِي من خلال هذا العرض المكثف السريع أكون قد وُقِّفْتُ أن أوضِّحَ للقارئ النَّسَقَ الذي سارت عليه العملية الأدبية المواكبة لحرب أكتوبر فقد أثارت صدمته الحرب الخاطفة خيالَ الأدباء المصريين ليكتبوا أعمالاً بعضها توثيقٌ ، والبعض الآخر يوضِّح أسباب الخلل الهيكلي المؤدِّي للهزيمة لتحسّر تلك الدفقة الإبداعية وتنزوي شيئاً فشيئاً مع مرور الزمن ، ومع توالي الأحداث السياسية، والاقتصادية ، وما واكبها من تغيُّرات اجتماعية جعلت أدبَ حرب أكتوبر منسياً بشكلٍ كبيرٍ في المشروع الأدبي المصري ، وما تمَّ إنتاجُه من أعمالٍ أدبية من رواية، وقصة، و مسرح ، لم يجارِ قوة الحدث الضخم ، وما أحدثه من زلزالٍ سياسيٍّ أحدثَ تغييراتٍ حادةٍ في عالمنا العربي أعادت مصرَ مرةً أخرى لخريطة القوى العسكرية الإقليمية لِيُحَسَّبَ لها منذُ عبور أكتوبر المجيد ألفُ حسابٍ .

أحلام راقصة ، وثلاثية الحلم ، والموت ، والوحدة

احلام راقصة



دار النشر

تَتَمَتَّعُ القِصَّةُ القصيرةُ كفنٍ إبداعِيٍّ بدرجةٍ عاليةٍ من القوة ، والتأثيرِ في القارئِ خصوصاً لو كانت تحملُ رسالةً محدَّدةً ، وعميقةً قادرةً على زلزلةِ المُتلَقِّي خصوصاً لو كانت الصياغةُ الأدبيَّةُ على درجةٍ عاليةٍ من الاحترافيةِ والتمكُّنِ .

ومن تلك الأعمالِ الفنيَّةِ التي تنطبقُ عليها تلك الموصفاتُ . المجموعةُ القصصيةُ للأديب الكبير الاستاذ (زكريا صُبْح) - التي اختار لها عنوانَ "أحلام راقصة".

تَتَمَتَّعُ المجموعةُ منذُ قراءتها للوهلةِ الأولى بِخَطِّ فكريٍّ ، وروحانيٍّ واحدٍ بالإضافةِ إلى وضوحِ الهدفِ ، وعمقهِ في ذاتِ الوقتِ حيثُ كانَ الثَّلاثيُّ (الحلم ، و الموتُ

، والوحدةُ) أبطالاً للمجموعةِ القصصيةِ بلا منازعٍ ، وأدارَ الكاتبُ القديرُ تلكَ الثلاثيةَ بشكلٍ مُتَناعِمٍ ، ومتبادلٍ ، وسببيٍّ ، ولكن بأسلوبٍ غيرِ مباشرٍ يجعلُ القارئَ يَرى الثَّلاثيَّ كأبطالٍ خفيينَ للقصصِ غيرِ أبطالها الحقيقيينَ .

بدأ الكاتبُ في البدايةَ بِمُقَدِّمةٍ ، واختارَ لها عنواناً مُبتَكراً ؛ ألا وهو المُفتَتَحُ ، والذي كانَ في حدِّ ذاتهِ قصةً قصيرةً جدًّا تمهِّدُ بذكاءٍ ، وبشكلٍ مُبَيَّنٍ للأحلامِ التي تدورُ حولها معظمُ قصصِ المجموعةِ . "الحافَّةُ" كانَ العنوانُ لِأَوَّلِ قصصِ المجموعةِ التي كانتُ نَهايَها قاسيةً جدًّا للقارئِ ، ولكن بشكلٍ لا يخلو من الرموزِ التي تتمثَّلُ في فكرةِ القطارِ ، وشريطِ القُضبانِ ، وانتظارِ القطارِ الأخيرِ في الحياةِ .

أراد الكاتب بهذه القصّة في البداية أَنْ يَهْزُّ القارئ ، و يصل به إلى الحافّة مَبْكَرًا حتى يكونَ في أقصى درجاتِ الانتباهِ الحِسِّيِّ لِمَا هُوَ قادمٌ في المجموعة.

"إخلعْ نعلَيْكَ" كمّ كان هذا العنوانُ المأخوذُ من الآيةِ القرآنيةِ يحملُ مناورةً فكريّةً

، ومفاجأةً للقارئِ فالقصّةُ تتحدّثُ عن موقفٍ معاكسٍ لِمَا يتخيّلُهُ القارئُ للوهلةِ الأولى عندما تقعُ عينُهُ على العنوانِ ، ممّا كان له بالغُ الأثرُ في تلقّي القارئِ صدمةً أُخرى.!

عادَ الكاتبُ مرّةً أُخرى إلى فكرةِ الموتِ ، وحتميتِهِ في "أدخنةِ هاربةٍ" ، والتي تتناولُ فكرةَ الموتِ ، وحتميتِهِ بشكلٍ بليغٍ ، ودقيقٍ ، وتكرّرَ ذلكَ مرّةً أُخرى في قصّةِ " تحرّش " ، وفي قصّةِ "زفاف" التي خَدَعَ فيها الكاتبُ المتلقّيَ بحديثِهِ عَن زفافِ الشّهْدَاءِ إلى الجنّةِ .!

كانَ الحُلُمُ هو البطلُ الرئسيُّ في قصّةِ "اغتيال " ، وقصّةِ "بعضُ مما لديها" حيثُ يتعرّضُ الحُلُمُ للانكسارَ ، والموتِ ، والانزواءِ .

حاولَ الكاتبُ الخروجَ عن إطارِ القصّةِ القصيرةِ التقليديّةِ في قصّتهِ "العُقد " والتي يزاوجُ فيها بينَ اللَّيلِ ، والأبوةِ ، وكيف أنَّ بقاءَ الأبِ بجوارِ الابنِ هو أشبهُ في عدمِ ديمومتهِ بالليلِ في تشبيهِ بديعٍ ، وأنيقٍ ، ومُبْتَكَرٍ .

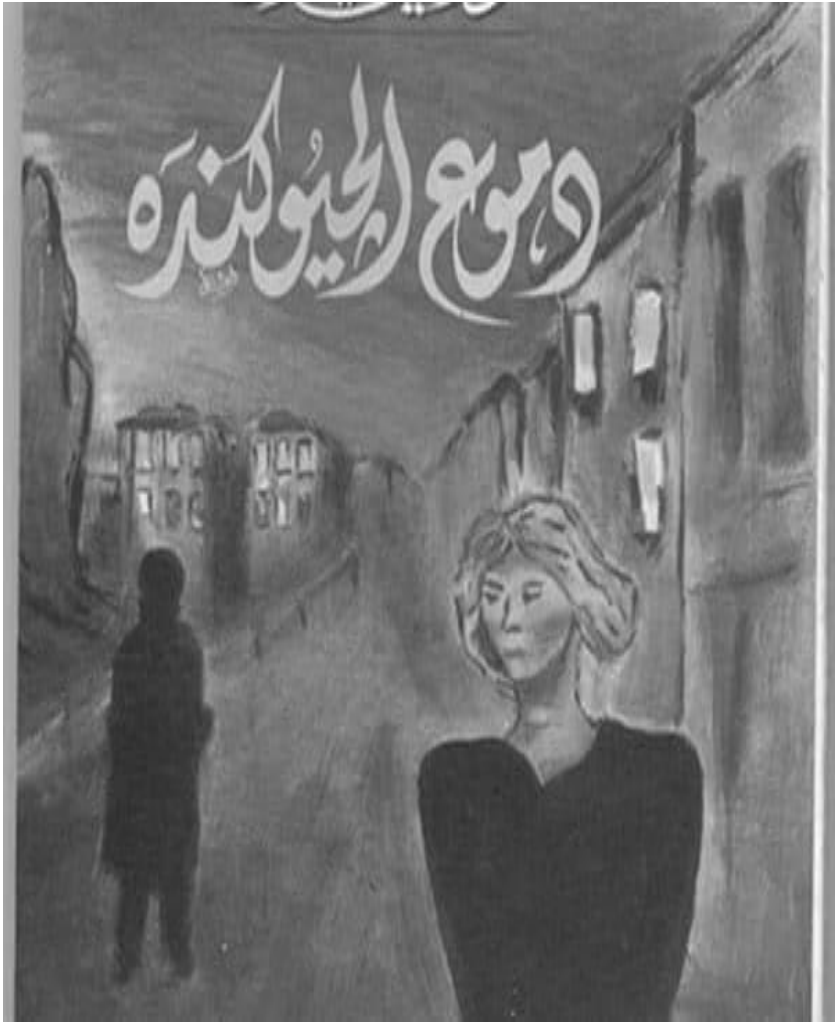
وعندما نصلُ إلى قصة "أحلام راقصة" التي كانت بمثابة صرخةٍ أديبٍ لا يجد حقه في الشهرة ، والجِد ، والأضواء حيث لا تجد أحلامه مجالاً للتحقق ، و الحدوث في زمنٍ لا يقدرُ الفنَّ الجميلَ حيث يتحكم رجال الأعمال ، والشركات فيه في الأدب .

ومن أكثر قصص المجموعة التي هزَّتني بشكلٍ عنيفٍ ، وأراها أيقونة المجموعة قصة بعنوان "صغيري" ، والتي صيغت بشكلٍ إبداعٍ لتُحدِّث القارئ عن مشاعر أبٍ مكْلومٍ بموت ابنه الذي يراه في صورة أحلام يقظة في كلِّ مكانٍ حوله! .

كم كانت هذه القصة رائعةً ، وكم كان الوصف متمكناً ، وينقل للمتلقي حالة الألم ، والحزن ، والجنون الذي يعيش فيه الأب .!

وأخيراً كانت تلك إضاءةً سريعةً على عملٍ أدبيٍّ دَسِمَ يستحقُّ الكثير ، والكثير من التحليل ، والتَّنْقِيصِ فلا يسعُ هذا العملَ مقالاً واحداً ؛ فما يحمله من مضامين ، و منطلقاتٍ أشبه بالنهر الجاري الذي يتجددُ بشكلٍ مستمرٍ كلما شربت من مائه العذب .

دُمُوعُ "الجيوكاندا" وتجربة السجن والحرب والحبِّ



خاطب الرئيسُ الرَّاحِلُ (محمد أنور السادات) شعبه عام (١٩٧١ م) ليعلن أنَّ هذا العامَ سيكونُ عامَ الحسمِ ، قائلاً : "إنَّي أقولُ لكم ، ولشعبنا بكلِّ أمانةٍ ، ووضوحٍ إنَّ سنة (١٩٧١ م) هي سنهُ الحسمِ ".!

انتظرت الجماهيرُ المفجوعةُ من أثرِ النكسةِ يوماً بعد يومٍ، وشهراً بعد شهرٍ، ولم يفِ الرئيسُ بوعده؛ ليصارحَ الجماهيرَ بالحقيقةِ ، خصوصاً بعد اندلاعِ الحربِ

(الهنديةُ الباكستانية) ، حيثُ انشغلَ (السوفييت)، الحليفُ الأقوى وقتها لمصرَ، بأمرِ تلك الحربِ مفسِّراً ذلكَ بضبابيةِ المشهدِ الدوليِّ الذي لم يجعلِ الظروفَ الدوليةَ مواتيةً لحربٍ مصريةٍ إسرائيليةٍ قد تنتهي بكارثةٍ إذا لم تستعدَّ لها مصرُ جيِّداً هذه المرة .

تعتبر رواية الأدبيةِ القديمةِ الأستاذة (نادية شكري) ؛ والتي طالعُها مؤخراً بعدَ صدورِها بثمانيةَ عشرَ عاماً عن دارِ الهلالِ المصريةِ من الأعمالِ الأدبيةِ القليلةِ ؛ التي جمعتُ في طياتِها المشهدَ السياسيَّ ، والاجتماعيَّ ، والاقتصاديَّ لعقدِ السبعيناتِ وما تخلَّلَهُ من أجواءٍ ما قبلَ حربِ أكتوبر من احتقانٍ طائفيٍّ ، وشعبيٍّ ؛ حيثُ تناولتُ الروايةُ حركةَ الطلابِ في الجامعاتِ المصريةِ وما نتجَ عنها من اعتصامٍ بمقرِّ الجامعاتِ ممَّا أدَّى إلى اعتقالِهِم ، وخروجِهِم بعد ذلك.

تدورُ أحداثُ الروايةِ حولَ (بسمه) - الطالبةِ الجامعيةِ - ابنةِ الطبقةِ الوُسطى ؛ والتي ترتبطُ عاطفياً بزميلِها (نبيل) صديقِ خالِها (سامح) ، ويتمُّ اعتقالُ الاثنينِ ؛ كلِّ

منهما في سجنٍ مختلفٍ بسببِ اعتصامهم داخلَ الجامعة ؛ ويتواصلان مع بعضهما البعض بالخطابات المنقولة عن طريق أحد السجناء ؛ ثم تُضربُ الفتيات عن الطعام ؛ احتجاجاً على عدم التحقيق معهنَّ ليُخرجنَّ جميعاً ؛ ويرتبطُ (نبيل) و (بسمة) بالزواج بعد أن تغيَّرَ حالُ (نبيل) وخالها (سامح) .

استطاعتِ الكاتبةُ بذلكَ رصدَ تغييراتِ المجتمعِ المصريِّ وقتها بشكلٍ دقيقٍ و متدرجٍ ؛ يحملُ درجةً عاليةً من النقدِ المبطن للأوضاعِ وقتها ؛ فنجدُ أنَّها بدأت بتوثيق حالة الغليان ؛ التي عمَّتْ كافةً أنحاء الوطنِ بعدَ النكسةِ مع تصويرِ وضعِ الجبهةِ من جنودٍ وضباطٍ ؛ لتنتقلَ بعد ذلك إلى تناولِ أجواءِ حربِ أكتوبر عن طريقِ رصدِ مشاهدِ المصابين من الجنودِ في المستشفيات ؛ ثم أخيراً تسجيل ما طرأَ على المجتمعِ المصريِّ وقتها من تقلباتٍ حادةٍ من أمثلةِ سيطرةِ التياراتِ (المتأسلمة) على الجامعاتِ المصرية ، والفتنةِ الطائفيةِ التي ظهرت نتيجةَ الشحنِ الدينيِّ المتزايدِ مع مواكبة ذلك للانفتاح و تغلغلِ المؤسساتِ الأمريكيةِ البحثيةِ في المجتمعِ العلميِّ .

كلُّ هذا الرصدِ صنعَ صورةً أشبهَ بـ (الهولوجرام) لمجتمعِ السبعينيات ، والذي اتَّسمَ بانعطافاتٍ كبرى في مسارِ التطوُّرِ المجتمعيِّ المصريِّ . جاء الوصفُ الدقيقُ مع استخدامِ تكتيكِ الخطاباتِ المتبادلةِ كأحدِ أهمِّ العلاماتِ البارزةِ في الرواية ؛ فنجدُ نجاحَ الكاتبةِ في وصفِ حالةِ السَّخَطِ الطلايِّ و الاعتصامِ ، و مجتمعِ السجنِ بشكلٍ أضفى على العملِ رُوْحاً توثيقيةً بالغةَ الدقَّةِ ، والمصدقيةِ ؛ فمثلاً جاء وصفُ التركيبةِ

الإنسانية لسجن (القناطر) بشكلٍ مفصّلٍ فنجدُ المُعتقلين وهم يختلطون بالمساجين الجنائيين ؛ من أمثال (أم مختار) التي سُجِنَتْ هي وزوجها الكفيفُ بسبب قتلها والد زوجها ؛ وكذلك (وسيلة) تلك السيدة القوية التي تعيش داخل السجن كالمملوك بما تملكه من كافيّة وسائل الإعاشة.!

ومن الخصائص المميزة للرواية ؛ إدراج أبيات شعرٍ ثريٍّ في العديد من جنّات العمل ، والتي تمّ توظيفها بشكلٍ يتناسب مع الموقف الروائيّ المذكور ؛ فمثلاً جاء شعر (رفعت سلام) المعبرُ عن حالة السّخط العارم الذي اجتاحت صدور طلاب الجامعة في ذلك التوقيت الحرج ، وأيضاً جاء شعر (ناظم حكمت) ليعبر عن حالة الحبّ التي تملكّت البطلة ؛ بالإضافة إلى الأشعار العاميّة للراحل (أحمد فؤاد نجم) وشعر العامية للشاعر (محمد سيف) ؛ والذي اتّسق مع رُوح العمل الساخِط على تغيّرات العصر المتطرفة ؛ بالإضافة إلى شعرِ الكاتبة نفسها ؛ والذي جاء معبراً عن البطلة (بسمة)

، وعلى لسانِ حاليها في صورةٍ مكتوبةٍ في خطاباتها إلى (نبيل) داخل السجن ؛ هذا التضمينُ الشعريُّ أضافَ للعملِ درجةً من درجاتِ الشاعريّةِ مما دَعَمَ البناءَ الروائيّ بشكلٍ فنيٍّ مختلفٍ . رصدتِ الكاتبةُ في مشاهد سريعة ، ومتفرقة الحراك الاجتماعيّ المصريّ ، وبداية ظهور الطبقات الجديدة مع تحلّل الطبقة الوسطى ؛ ف (نبيل) ابنُ الطبقة الفقيرة يتحرّك بسرعةٍ إلى الطبقة الوسطى ثمّ العليا بعد عمله مع الأمريكان

وكذلك (سامح) الذي انتقل إلى الطبقة العليا بعد ارتباطه بتلك السيدة الأمريكية التي تكبره كثيراً في السنّ .!

رصدتِ الكاتبة أيضاً ظهورَ الجماعاتِ الإسلامية في الجامعاتِ المصرية ، وانتشارهم في كافة ربوعها تحت رعاية وعلم الرئيس المؤمن ؛ و لم تنسِ الكاتبة توثيقَ بدايةِ الفتنة الطائفية في أسوأ مواجهتها بمشهد مؤلم قُتل فيه والدُ البطلة المسلم مع صديقه القبطي (ونيس) الصانع أثناء جلوسهما للعب الطاولة بعد أن باغتهم المتطرفون بالهجوم على محلّ صديقه بالجنازير والسيوف .!

جاءتِ الرواية لتصف واقعا مريراً عاشته مصرُ في فترةٍ حالكَةٍ من تاريخها ؛ لتجمع الكاتبة المتمكنة ثلاثة أنواعٍ من الأدب الروائي متمثلاً في : أدب السجون ، وما به من تقييدٍ للنفس البشرية ، وأدب الحرب وما به من أهوال ، و فظائع ، وأخيراً أدب الحب ، والرومانسية متمثلاً في مجموعةٍ من الخطابات المتبادلة والتي وطّدت علاقة تشكّلت في ظروف إنسانية معقدة وانتهت بدموع (الموناليزا) معلنةً للقارئ ختام قصة حبٍ ، وموت جنين البطلة كرمزية لانقضاء عهدٍ ناصريٍّ سابقٍ انسحق بالنكسة ، وأعقبته بداية عهدٍ جديدٍ من الانفتاح العشوائي مع سَطوة (البترودولار) على جيوب ، وعقول المغترين ؛ والذي نتج عنه فسادٌ (سامح) و(نبيل) لتترك (بسمّة) تلك الجحرة الفاسد هواؤها هي وجنينها الميئت في أحشائها.!

الرَّحْلَةُ الْآخِرَةُ " الْمَصْرُتُونَ يَصْعَدُونَ إِلَى الْكَوْكَبِ الْأَحْمَرِ



أدب الخيال العلمي من أكثر أنواع الأدب التي ازدهرت في العالم العربي مدفوعاً بحجم هائل من التقدم ، والازدهار العلمي البحثي ، والذي ألهم خيال الأدباء فصاغوا أفكارهم ، ونبؤاتهم للمستقبل في صورة قوالب أدبية لعلوم مادية جامدة بينما يخطو هذا اللون الأدبي بخطوات متناقلة في مجتمعاتنا العربية التي تفتقر إلى هذه الوتيرة المتسارعة في التطور العلمي ، والتكنولوجي .!

رواية الرحلة الأخيرة للأديب ، والأستاذ الجامعي أ/د "حسام الزميللي" ، التي صدرت مؤخراً عن (أكاديمية البحث العلمي) بعد أن فازت بجائزة الأكاديمية لأدب الخيال العلمي تعتبر نموذجاً قياسيًّا للأدب الروائي المصري ، والعربي الذي تناول بشكل استشرافي فلسفي السفر إلى الكواكب الأخرى بتناول تغلب عليه الصبغة المحلية ذات الطابع العربي ، والإسلامي .

تدور أحداث الرواية في المستقبل القريب حول سفينة فضائية ثقيل مجموعة من رواد الفضاء المصريين إلى سطح كوكب (المريخ) كمركبة نجاة بعد أن تعرضت الأرض إلى كارثة (جيولوجية) جعلت الحياة على سطحها مستحيلة ؛ خاصة وأن ذلك قد حدث بعد جائحة عنيفة (لفيروس) مخلق مُصطنع يقضي على الحياة البشرية ، فيحول البشر إلى مسوخ بعد أن تُلقت أجزاء هامة من نسيج المخ لتتوالى الأحداث

، والمواقف التي تعبّر عن غريزة البقاء لدى هؤلاء المصريين المهاجرين إلى سطح الكوكب الأحمر.

تنتمي الرواية المكتوبة بعناية فائقة إلى أدب الخيال العلمي مما يُعرف بأدب القِيامة أو ما أصطلح على تسميته "أبوكليسي" حيثُ تحتاح الأرض كارثةً عظيمةً ليكافح البشرُ ، ويتصارعون من أجل البقاء على قيد الحياة بالإضافة إلى تناوُلها للعديد من القضايا الاستشرافية من أمثلة مستقبل (الروبوتات) ، والذكاء الاصطناعي

، وانتشار الحروب (البيولوجية) ، واستكشاف سَطْح (المريخ) ، و باطنه وُصُولاً إلى التَّنَبُّؤ بالصراع العالمي على الرِّيادة الفضائية ، والتي تنتهي بالتعاون الحتمي المتمثل في طريق الحرير الفضائي لاستكشاف الكوكب الأحمر .

ظهرت في الرواية النُّزعة العربية الإسلامية للكاتب التي تمثّلت في تسمية (الروبوتات) بأسماء عربية من أمثلة (عطلان ، وبهلول ،وعقربينو) مع ظهور السفينة الفضائية باسم عربيّ "الرَّمقُ الأخير " ، و المعالج باسم " ابن سينا " والمَّلّاح "ابن ماجد" حتى الاختصارات اللفظية كانت لحروفٍ عربيّة وليست غربيّة كما هو معتادُ فالكاتب يتوقَّع حدوثُ نهضةٍ عربيّةٍ إسلاميةٍ مُمثّلةٍ في الاتحاد العربي الإسلامي ، وما يتبع ذلك من اختراقاتٍ علميّةٍ واسعةٍ لسُكَّانِ هذه المنطقة من العالم بشكلٍ يغلبُ عليه التَّمَنِّي ، والتفاؤلُ فكلُّ هذا أضفى صبغةً عربيّةً إسلاميةً على هذا الخيال العلميّ المحض .

هناك العديدُ من النقاط التي تناولتها الرواية التي عبّرتُ بقوةٍ عن ثقافة الكاتب العلمية من أمثلة ذلك تناوُلُه بشكلٍ مفصّلٍ لنظرية (الجذب) وكيف أنَّه من خلالها حاول التوفيق بين العلم ، والدِّين معتبراً أنَّ الجذب هو تفسيرٌ علميٌّ لقضايا روحانيةٍ

محدّدة ، وتناول الكاتب أيضًا (الرياضيات الطافية) كمصطلح حديث على سمع القارئ بالإضافة إلى أنّ الرواية مليئة بالتعبيرات العلميّة كقوانين (عظيموف) المنظمة لعمل (الريوتات) ، و الكائنات (داس) ، وغيرها الكثير ممّا استدعى الكاتب إلى استخدام الهوامش ليفسّر تلك المصطلحات العلميّة الجامدة .

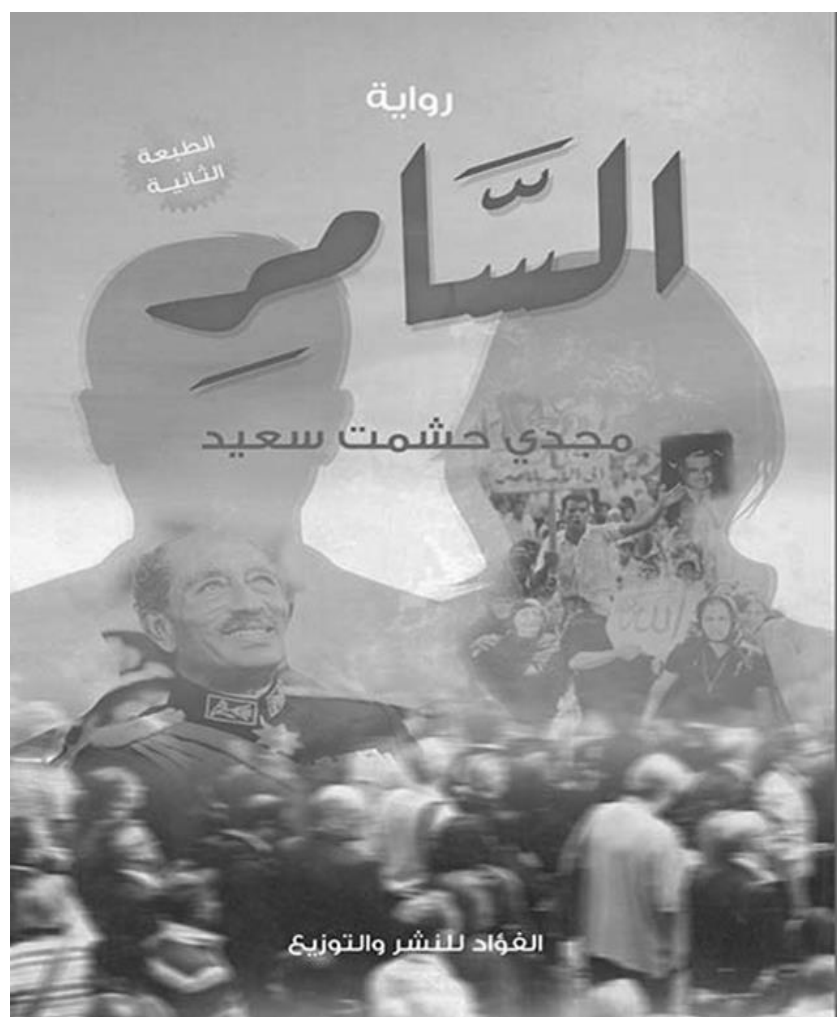
كان من الملفّت احتواء الرواية على العديد من المواضيع للتنظير السياسيّ للعديد من القضايا الشائكة مثل قصة (إسراء والعم سام) ، واحتلال منزلهم بواسطة الدُخلاء مما يشير إلى القضية الفلسطينية وما تُعانيه من احتلال صهيونيّ استيطانيّ ؛ فاستغلّ الكاتب لُعبة (الشطرنج) ليوضّح رأيه السياسيّ ، والفكريّ ، والذي عبّر عنه في فكرة الأبيض والأسود حيث العنصرية التي عانى منها أصحاب البشرة السُمراء من تنمّر قاسٍ بالإضافة إلى فكرة (الملك والعساكر) في اللُعبة ، والذين يُضخّون بحياتهم من أجل حماية ملكٍ ضعيفٍ يحيطُ نفسه بالأتباع الذين يقاتلون من أجله ليبقى هو على قيد الحياة . تناول الكاتب أيضًا العلاقة بين المسلمين ، والاقباط من خلال علاقة (مايكل ومحمد وفاطمة وجومانة) ، وكيف أنّ تلك العلاقة لا تزال يشوبها الكثير من السلبات ، والتي استطاعت طبيعة الكارثة الكونية من إزابتها بشكلٍ تدريجيّ . ظهرت خلفيّة الكاتب الطيّبة جليّة في العديد من المواضيع مثل الشرح الدقيق لعملية علاج الأعصاب ، وتفسيره لقُدرة (فيروس الريفيرسال) على إصابة البشر بالإضافة إلى العديد من المصطلحات الطيّبة الدارجة بين الأطباء مثل عبارة (open and see) الشهيرة بين الجراحين .

كلُّ ما سبق أضفى رُوحًا طبيَّةً واسعةً على العملِ الخياليِّ الطابعِ .

وقد جاءتْ نهايةُ الروايةِ صادمةً للقارئِ حيثُ سيطرتْ (الريبوتات) الهاربةُ على سطحِ (المريخ) بعدَ أنْ نما وعيُها الذاتيُّ ، وتحكَّمتْ في مصيرِها دونَ الحاجةِ للبشرِ !.

وختامًا: فإنَّ روايةَ "الرحلة الأخيرة" كانتْ بمثابةِ تأصيلٍ للأدبِ العربيِّ والإسلاميِّ للخيالِ العلميِّ الذي يناقشُ قضايا معرفيةً مختلفةً عن تلك التي تناقشها الأعمالُ الأدبيةُ الغربيةُ ، والتي تحملُ العديدَ ، والعديدَ من الأفكارِ الضمنيةِ السلبيةِ ذاتِ الطابعِ الماديِّ المتحلِّلِ من كافَّةِ المرجعيَّاتِ الثقافيةِ والدينيةِ بشكلٍ عبثيٍّ بامتيازٍ .

رواية " السَّامِر " مَحْكِيَّة صَعِيدِيَّة لِسَامِرِ الْوَحْدَةِ الْوُطْنِيَّةِ



تُعَدُّ عقودُ الخمسينات، والستينات ، و السبعينيات من الفترات التاريخية المؤسَّسة للواقع الحالي الذي يعيشه المصريون ؛ والذي ما جَ بالعديد والعديد من المشاهد الهامة ، والحيوية في عمومها والمتناقضة في بعضٍ منها ؛ والمشوهة في بعضها الآخر . تلك العقود الثلاثة التي أعقبت زلزال حركة يوليو كانت بمثابة بناءٍ للواقع المستقبلي المجتمعي ، والسياسي ، والاقتصادي ؛ حيث لا يزال المصريون ، والعالم العربي أجمع يعيشون في تبعاتها و نتائجها حتى وقتنا هذا.!

قليلٌ من الأعمال الأدبية المصرية قد تناولت حال الريف الصعيدي في تلك العقود الثلاثة ، وتقريباً لا يوجد عملٌ أدبيٌّ يذكرُ تناولَ الأجواء العاصفة التي عاشها أهلُ حواضرٍ صعيدٍ مصرَ خاصةً . إنَّ تلك الحواضر البعيدة عن العاصمة المتنفخة بالأحداث لم تأخذ حقَّها في الرصد الاجتماعي ، والسياسي بالرغم من أنَّها عانت نفس المعاناة الإنسانية ؛ التي عايشتها باقي رُبوع القطر المصري .

رواية "السامر" للروائي والقصص (مجدي حشمت سعيد) الصادرة عام (٢٠١٩ م) عن دار الفؤاد للنشر نجحت في رسم صورة متكاملة الأبعاد لمدينة صعيدية أثناء فترة الثلاثة عقود السابقة الذكر، وكيف عاش أبطالها أبناء الجنوب هذه المتغيرات الإحصائية الطابع ؛ والتي نقلت مجتمعهم البسيط المحافظ بشكل تدريجي حفي إلى مجتمع مُدُن الشمال حيث صبغة العاصمة قد أضحت هي الغالبة بكل تعقيداتها فما أَلَمَّ بالعاصمة من توابع الحروب المتتالية والفتن الطائفية ، ونتائج الانفتاح العشوائي

قد وصلت كالماء في الأواني المستطرقة إلى أقاليم مصر ، ومدنها لينعكس ما يحدث في المركز على الأطراف بشكل وبائي .

الرواية من النوع الدسم نسبياً فقد تتجاوزت صفحاتها ثلاثمائة صفحة ؛ و تسرد بدرجة تفصيل عالية التصوير حال أسرتين عاشتا في أحد الأحياء الشعبية لمدينة (سوهاج) الجنوبية في فترة ما بعد ثورة (يوليو ٥٢) راصداً كافة التحولات الهيكلية التي طرأت عليهما من خلال محكمة صعيدية تخترق ثلاثة عقود متوالية ؛ وهنا ولأول مرة يتناول أديب مصري حال مدن الجنوب وما حل بها من متغيرات خصوصاً عندما نعلم أن الأسرتين إحداهما مسلمة الديانة والأخرى مسيحية لنجد أن (صالح) المسيحي يصادق الحاج (بسيوني) المسلم ؛ وسامر صالح الذي هو عبارة عن مجموعة من الكراسي المفروشة أمام المنزل هو نموذج قياسي لتجانس عنصري الأمة من مسلمين وأقباط ؛ فقد جمع جميع أهل الحي دون تمييز ليجلسوا مع بعضهم البعض في تأخ تعمه المحبة والمودة .

رسم المؤلف صورة مجتمع مدينة (سوهاج) بحرفية عالية فكانت التفاصيل الدقيقة هي ريشته لرسم تلك اللوحة الأدبية ؛ فالرواية تمتلئ بالمفردات الحياتية لأهل البلدة من أمثلة وابور الجاز، ومبيض النحاس ، والمرأة الحلبية والمقيلي (الفول النبات) والتشويط (التريض)و(المانيفاتورة والفلقة) وغيرها من الكلمات النابعة من بيئة المكان بالإضافة إلى ذلك فقد اكتظت الرواية بذكر العديد من الأماكن الواقعة في مدينة

(سوهاج) من أمثلة (نجع أبو شجرة) و (النادي البحري) و (سينما الحرية) و (جامع العارف) الخ

كان ذكرُ الرواية لتلك الأماكن بمثابة رسم خريطة لتلك المدينة ، والتي نجحت في توثيق معالمها بشكل دقيق لأي مهتم بتسجيل تاريخ تلك المدن الصعيدية الطابع . ناقشت الرواية بلغة بسيطة ، وبمصطلحات مستمدة من بيئة المكان الذي تدور فيه الأحداث ، وكافة الوقائع التاريخية المصرية ؛ والتي عاشها المصريون في ثلاثة عقود من نجاح لسيطرة (عبد الناصر) ورفاقه على الدولة المصرية وما أعقب ذلك من تغيرات ثورية في نسيج المجتمع ، وبدء مرحلة القومية العربية من وحدة مصرية سورية أعقبها فشل تلك الوحدة ، وتدخل الجيش المصري في اليمن ثم النكسة و حرب (أكتوبر ٧٣) و(كامب ديفيد) انتهاءً بمشهد الاستفتاء على تولي الرئيس الأسبق (حسيني مبارك) بعد اغتيال الرئيس (السادات). كل هذا الرصد صنعهُ الكاتب بشكل ضمني غير مباشر من خلال مراحل تدريج الرواية من جيل الآباء الحاج (بسيوني و صالح) إلى جيل الأبناء (محسن و إيناس و سعد وأنور) الخ

كل هذه التحولات جعلت الرواية أشبه بالثلاثية التي صيغت في عمل واحد مكثف ؛ بالإضافة إلى الأحداث التاريخية الهامة التي ذكرها . تظهر جلياً إدراك الكاتب لطبيعة ما طرأ على هذا المجتمع المحافظ من تحولات اجتماعية اتسمت بصبغة كل عصر من نظام اشتراكي ناصري به مجانيّة التعليم وتوزيع (الكوبونات) للكساء أعقبته

فترة حرب الاستنزاف وأكتوبر من ضيقٍ شديدٍ في الأوضاع الاقتصادية وصولاً إلى عهد الانفتاح السادقٍ الشهير؛ والذي اتَّسم بظهور طبقاتٍ جديدةٍ كلُّ مؤهلاتها المال الذي جاء بسهولةٍ مع الاستيراد الواسع بلا إنتاجٍ مصاحبٍ ، وظهور طبقةٍ "الفهلوية" من طفوا على سطح المجتمع.!

نَجَحَ الكاتبُ في ذكاءٍ و حِكْمَةٍ واضحةٍ في تناولِ قضيةٍ شائكةٍ للغاية في تاريخنا المعاصرٍ خصوصاً أنَّ تناوُلها جاءَ هذه المرةَ من أحدِ أبناءِ الوطنِ الأقباطِ على غيرِ المعتادِ ؛ فجاءتْ علاقةُ (صالح وبسيوني) ومن بعدهم علاقةُ (محسن وإيناس) لتكونَ نموذجاً مثالياً لعلاقةٍ صحيَّةٍ بينِ عُصْرِيِّ الأُمَّةِ ، وكان السامرُ هو المكانُ الذي يتضحُ فيه نضوجُ الوحدةِ الوطنيةِ المصريةِ فكان يجمعُ بينَ المسلمين والأقباطِ في ودٍّ و محبةٍ ولكنَّ جاءَ التطرفُ الدينيُّ ممثلاً في التيارات "المتأسلمة" التكفيريةِ المنهج لتعصفَ بتلكِ العلاقةِ الخاصَّةِ وتُطلِّ الفتنةَ الطائفيةَ برأسِها في أحداثٍ (الزاوية الحمراء) وسيطرةُ التطرفِ على الجامعاتِ ، و تسلُّلُ التعصبِ الأعمى إلى كافَّةِ أرجاءِ مصرَ وصولاً إلى أساتذةِ الجامعاتِ.!

وضَّحَ الكاتبُ أيضاً من خلالِ ما طرأَ على أبطالِ روايتهِ تلكَ الطفراتِ الاجتماعيةِ ف (كامل) ابن الصعيد تحوَّل إلى التطرفِ ، وسافر للجهاد في (أفغانستان) بينما (إيناس) تزوجتْ من زميلٍ لها في الجامعةِ يتَّصفُ بالتشددِ ؛ وحتى الأقباطُ كرد فعلٍ متوقَّعٍ

بدأوا يتفاعلون مع الخطاب الطائفي و يسمون مواليدهم بأسماء غير عربية مستمدة من التراث المسيحي.!

كلُّ ما سبق صاغه الكاتبُ في براعةٍ في صورة حوارات السامر ؛ والتي انتقلت فيها الألفاظ من لفظة "مسيحي" إلى "نصراني" و من "كلنا" إلى لفظة "عندنا ، وعندكم" وغيرها من التعبيرات المعبرة عن هذا الاحتقان المرير .!

امتألت الرواية بالعديد من المشاهد الهامة والمؤثرة التي أضفت على العمل روحاً إنسانيةً عاليةً، ومن أمثلة ذلك مشهد اعتراف (محسن) للكاهن بخطيئته و توبته منها

، ومشهد لقاء (كامل و محسن) عندما حاول الثاني إثباته عن السير في طريق التطرف ، و مشهد لقاء (محسن وإيناس) في الجناح الإداري للجامعة بعد فترة طويلة من الزمن ، وغيرها الكثير من المشاهد التي شكّلها المؤلف من واقع تلك الفترة المضطربة بالأحداث. حتى غلاف الرواية لم يسلم من تلك النزعة التوثيقية حيث كان تصميم الفنان (عبدالله رجب) متجانساً مع تلك الحالة فظهر الغلاف يحمل ظلي شاب وشابة غير محدّدي المعالم في الجزء العلوي منه ، بينما ظهرت في الأسفل بشكل واضح في الجزء الأيمن صورة من جنازة الزعيم الراحل (جمال عبد الناصر) وكيف كان حال المصريين المتشحين بالسواد ، وظهرت في الجزء الأيسر صورة الرئيس السادات ، وهو في العرض العسكري ببدلته (المرشالية) والذي انتهى بمشهد الاغتيال الصادم ، جاءت نهاية المحكية بشكلٍ دراميٍّ بديع ؛ حيث خرج عم (صالح) من بيته وهو

يطلبُ من أبنائه وضعَ الكراسيِّ خارجَ المنزلِ كسابقِ عهدِهِ حتى يتجمَّعَ السامرُ
كسابقِ عهدِهِ ، و لكنِ انقضتْ الساعاتُ و ظلَّتْ الكراسيُّ خاليةً من روادِ السامرِ ،
والذي انفضَّ بلا رجعةٍ بسببِ فتنةٍ طائفيةٍ يحاولُ المصريون رأبَ صدعِها منذُ ذلك
الوقتِ العصيبِ حتَّى وقتنا هذا .

الكرنكي وأنسنة المكان؛ وكيف تحدثت شجرات البرتقال؟.



يعتبر الكاتب "يحيى الطاهر عبد الله" ابن ريف الأقصر؛ من القلائل الذين بالرغم من رحيلهم وارتقائهم عن ديننا منذ عقود إلا إن تراثهم الأدبي لا يزال يثير حالة من العصف الذهني الأكاديمي لأي باحث وناقد أدبي يبحث عن أعمال أدبية تتمتع بدرجة عالية من التصوير البانورامي لبيئة الصعيد المصري ذات الخصوصية الثقافية المتفردة والتي تناولها كاتبنا المتمكن بكل دقة، وواقعية و أمانة حتى أن إنتاجه الأدبي قد أضحي نموذجاً قياسيًّا للأدب المحلي الجنوبي؛ والذي لم يأخذ حظه كثيراً في التداول في ظل طغيان أدب الشمال المصري، والذي تميز بغزارته في توثيق حال مُدُن وقرى الدلتا، والقاهرة على حساب باقي الأقاليم المصرية.

من هذه الدراسات النقدية؛ التي استدعت عملاً من أعمال كاتبنا الجنوبي ليكون نموذجاً للتحليل النقدي كتاب "الكرنكي... أنسنة المكان في قصص يحيى الطاهر عبد الله" للباحثة والناقدة د/ أسماء خليل؛ والصادر مؤخراً عن دار نشر (كيمنت) والتي اعتمدت فيه الباحثة مزيج من الأسلوب التحليلي في إطاره العام الأكاديمي المعتمد على المنهج، والهدف، و الأسلوب التفكيكي كنتكتيك بحثي للتنقيب في الأجزاء المختلفة في النص المكتوب.

استخدمت الكاتبة المجموعة القصصية الشهيرة للكاتب (يحيى الطاهر عبد الله) و المعنونة باسم " ثلاث شجرات كبيرة تثمر برتقالا " كعينة دالة على كيفية أنسنة الأماكن في الأعمال الأدبية العربية و يبدو أن سبب وقوع الاختيار على تلك

المجموعة القصصية خصيصا هو ما يمثل المكان فيها من دور محوري في كل القصص... فريف الأقصر متمثلا في قرية الكرنك كان البطل بلا منازع في معظم قصص المجموعة ، وعن طريق التفكيكية النقدية استطاعت الباحثة فصل المكان عن سياقه العام في النص و إبراز دوره المحوري مثله مثل أي أنسان ظهر بطلا في تلك القصص و بذلك اتضحَت القصصية و تحددت أبعادها واستقر في وجدان قارئ الدراسة ، والمجموعة القصصية من خلالها كيف أن يحيي الطاهر عبد الله ؛ قد استخدم عن قصد أو دونه أنسنة المكان لينقل حالته الشعورية تلك إلى المتلقي ؛ والذي قد لا يتخيل مدى تأثير تلك البيئة البكر الجنوبية في كاتبنا و كتاباته.

تم تقسيم الكتاب إلى مجموعة من الأجزاء بدأته الباحثة بتقديم لقصصية الكتاب من محاولة لدراسة مفهوم الأنسنة و الهدف منها و لماذا تم اختيار مجموعة "ثلاث شجرات تطرح برتقالا" كنموذج ومثال دال على إنسانية الأماكن ثم ينتقل الكتاب بعد ذلك إلى تمهيد ضروري يحكي سيرة هذا الكرنكي المهاجر إلي القاهرة من عمق الصعيد ليجد له موطن قدم في عاصمة المعز وكيف التزم هذا الكرنكي بتناول موطنه الأم في أغلب أعماله بالرغم من إقامته بعيدا عنه مما وضَّح مدى تأثير المكان الذي نشأ به في وعيه ووجدانه.

تم شطر المحتوى العلمي للكتاب إلى نصفين في صورة فصلين متماثلين الأول منهما يتناول فكرة ونظرية الأنسنة بمفهومها الشامل والفصل الثاني يطبق النظرية على النصّ

في صورة أمثلة مختلفة من كافة أجزاء المجموعة ليتأكد للقارئ مفهوم الأنسنة ومعناه وكيف ظهر جلياً في العديد من المواضيع للتعبير عن سيادة بيئة الكرنك الجنوبية على كافة أنحاء العمل الأدبي ، وهذا يفسر قدرة أدب يحيى الطاهر على الصمود طوال تلك العقود و تمكنه من البقاء حيا و صاخبا في الحالة الأدبية المصرية والعربية .!

من الملامح المميزة التي تناولتها الباحثة في الدراسة؛ تأثير المكان في ذهنية كاتب المجموعة القصصية على غلافها فنجد الغلاف معبراً في مجموعة من الإضاءات البصرية عن تلك الحالة من الانتماء والأنسنة المكانية فمثلا ذكرتُ أنَّ اللونَ البرتقالي أخذ نصيب الأسد في فضاء صفحة الغلاف حيث مثَّل ثلثي الصفحة تقريبا وأهمية اختيار هذا اللون المعبر عن الدفء الذي يثير المشاعر الإنسانية والمستمد من العنوان ذاته حيث الشجرات والتي تمثل الرسوخ والاستقرار في العقلية المصرية حيث الزراعة والنماء.

أكدت الكاتبة أيضا من خلال تكرار أسماء الأماكن في المجموعة على اضطلاع المكان بدور البطولة في معظم الأعمال فمثلا جاءت الطاحونة في قصة " طاحونة الشيخ موسى " لتمثل محورا ارتكازيا للعمل كذلك قصة "الجبل الأخضر" و " معطف من الجلد " و "حصار طروادة" والكثير من الأمثلة الدالة على أهمية المكان في أعمال كاتبنا الراحل ...

أظهرت الدراسة مدى تأثير الكاتب بالألوان واهتمامه بدورها البصري في الوصف وكيف أنه أستخدمها مع أنسنة الأماكن في إيصال الحالة الشعورية له وإحساسه المفرط بالمكان للتعبير عن ذلك التوجه فمثلا نجد أنه قد استخدم اللون الأسود والأبيض والبرتقالي والأصفر والأخضر والتي هي معظمها ألوان رئيسية وأولية نابعة من البيئة الريفية البسيطة مما أضاف إلى جماليات أنسنة المكان ، والتي اتسم بها العمل ..

وأخيرا؛ فإن كتاب (الكرنكي وأنسنة المكان) هو مثال لدراسة أكاديمية جاذبة لعمل أدبي أصيل استمد أهميته ، وشهرته من بيئة الصعيد المصري؛ والتي لا تزال بكامل بكارتها وخصوبتها تنتظر مستكشفين ، ومنقبين جادين من أبناء هذا الوطن يفكّون طلاسمها و يسبرون أغوارها.

رواية " الفَجْرُ جُرْحُ أَسْوَد " ، ومرتبة قوارب الموت



الفجر جرح أسود

..... رواية {

وهيبة سقاي

2022

وهيبة سقاي
الفجر جرح أسود
رواية



القارب يتقدم بجلون نحو الوجهة التي ستمنح الخلود والسعادة الأبدية. اختفت اليابسة تماماً، واختفت معها أرض الوطن عن الأنظار، تبحرت راحتها للركبة وحلت مكانها رائحة الملح المبتعدة من زبد المياه الهوجاء.. هدير الموج يعلو.. موجات رمادية خائفة تهاجم القارب.. تريد أن تنقش على المحرك وتشل حركته.. تريد أن تغير وجهته، أن تعيده بركابه والزمن، إلى فجر البلدة العابس الأسود.

إنه ينطلق كالسهم الماتر على سطح المياه التي أبت إلا أن تسلمهم لونها من زرق السماء وأديمها الفضي، ثم يطير على قمم الموج الثائر ويضع في صخب وجريه.. ضياء النهار يهوي على المياه الباردة فتمزقه هاته الأخيرة لتلازمات بيعة الحسن، بينما الشمس تعلق منتصرة، تجمع أشتاتها، ثم تتجعد في أوقيانوس السماء.



9 789776 022193

تَشْتَرِكُ العديدُ من دُولِ العالمِ العربيّ خاصّةً التي تجمعُها جغرافيا مشتركةٌ في العديدِ من القواسمِ المتشابهةِ ، التي تشملُ تطابقَ الظروفِ الاجتماعيةِ ، والاقتصاديةِ ، والجغرافيةِ ، وصولاً إلى تقاسمِ المشاكلِ ، والأزماتِ ، والعديدِ من الظواهرِ السلبيةِ .

ومن تلك الظواهرِ السلبيةِ التي تعاني منها العديدُ من الدولِ العربيةِ المطلةُ على البحرِ المتوسطِ ؛ ظاهرةُ الهجرةِ غيرِ الشرعيةِ على قواربِ المهريينَ إلى سواحلِ الدولِ الأوربيةِ حيثُ يلجأُ هؤلاءُ إلى تلكِ الدولِ ليعيشوا كلاجئينَ أملاً في حياةٍ أفضلَ من تلكِ التي عاشوها في أوطانهمِ الأصليّةِ !

من الأعمالِ الأدبيةِ القليلةِ ، والتي تناولتْ تلكِ الظاهرةَ الإنسانيةَ بكاملِ أبعادها هي روايةُ الأديبةِ الجزائريةِ د/ "وهيبة سقاي" الصادرةُ عن (دارِ النسيم) عام

(٢٠٢٢) ، والتي سَطَّرتْ من خلالِ صفحاتِ العملِ تسعينَ صورةً كاملةً عن هذه المأساةِ البشريةِ التي يَعِيشُها شبابُ أوطاننا .

تدورِ الروايةُ حولِ الشابِّ (ناصر) ، والذي يحملُ اسمهُ رمزيّةً بالغةً الدلالةَ ، والذي يقررِ الهجرةَ على سطحِ قَارِبٍ اشتراهُ هو ، وزملاؤُهُ من "عيسى" الضابطِ المتقاعدِ تاركاً أمَّهُ (فاطمة) ، وأختَهُ المريضةَ (فرح) وراءَهُ في بلدتِهِ الساحليةِ الفقيرةِ مُضْجِحاً بحبِّ عمرهِ الوحيدِ (حنان) ليذهبَ إلى الشمالِ حيثُ المصيرُ المجهولُ المغلفُ بِجُلُمِ أشبه

بالسّرَابِ في الأفقِ ، وتسيرُ الأحداثُ ، والمواقفُ لتؤكدَ ما تمثّلُهُ تلكَ الظاهرةُ من
مأساةٍ مكتملةِ الأركانِ !.

نَحَتَتِ الكاتبةُ شخصياتها بعنايةٍ فائقةٍ فوجدُ مثلاً البطلَ (ناصر) المهزومَ معنويّاً
بسببِ بطالتهِ بالرغم من كونه جامعياً ، وشخصيةً (فاطمة) ابنةِ إحدى شهداءِ ثورة
" المليون شهيد " ، والذي انتقلَ إلى الرفيقِ الأعلى على يدِ المستعمرِ الفرنسيِّ
بسببِ وشايةٍ داخليةٍ من أحدِ عملاءِ الاستعمارِ الفرنسيِّ بالإضافة إلى شخصيةٍ

(عيسى) ذلك الضابطُ المتقاعدُ الذي يمتصُّ دماءَ أبناءِ بلديهِ ، ويُلقِي بهم إلى بطنِ
البحرِ كقربانٍ مقابلِ المالِ الحرامِ ، وشخصيةً (حنان) الجامعيةِ حبيبةً (ناصر) التي
تركها من أجلِ حلمٍ زائفٍ.

كما تناولتِ الكاتبةُ بحرفيةِ الظروفِ الاجتماعيةِ ، والاقتصاديةِ لتلكَ الظاهرةِ حيثُ
البطالةُ ، والفقرُ ، والتهميشُ بالإضافةِ إلى ما أفرزتهُ التغيراتُ الاجتماعيةُ في الجزائرِ
من ظهورِ طبقةٍ ذاتِ سَطْوَةٍ من منتسبي ثورة " المليون شهيد " من أمثالِ (عيسى)
المتاجرِ بالبشرِ ، و مُدَّعي الإرثِ الثوريِّ من والدِهِ ، و (إبراهيم) العجوز الذي
يطنطنُ دائماً بفضلِهِ على الآخرينِ بسببِ ماضيهِ الثوريِّ بينما هو في حقيقةِ الأمرِ
متحرّشٌ يمتلكُ روحَ حيوانِ بَرِّيٍّ مفترسٍ !. صيغتِ الروايةُ بلغةً عربيةً رصينةً حتى
الحوارُ اعتمدتُ فيه الكاتبةُ على اللغةِ العربيةِ الفصحى ، وإنْ كانتْ طعّمتِ الروايةَ
بمجموعةٍ من الكلماتِ الجزائريةِ الدارجةِ من أمثالِ كلمة "حَرَّاقَة " ، وتعني مهاجراً

شرعياً حرق أوراق ثبوتيته ، وكلمة " حيطيست " أي المتكئ على الحائط بسبب البطالة ، وكلمة " دزاير " ، وهي المرادف العامي لكلمة الجزائر .

هذه الكلمات القليلة كانت أشبه بـ "التوابل" التي أضافت نكهة ، ومذاقاً بطعم الخصوصية الثقافية للدولة محل الأحداث .

أكدت الرواية على قضية مُنتسبي الثورة ، والذين ألصقوا أنفسهم بها بالرغم من عدم مشاركتهم بها ، وهي ظاهرة إنسانية متكررة في كافة ثورات العالم التي كتب لها القدر النجاح .

مثلت شخصية (عيسى) الضابط المتقاعد نموذجاً لأبناء الشهداء ، والمجاهدين المزيفين على حد تعبير الكاتبة ، وشخصية (إبراهيم) الذي بالرغم من تجاوزه للسِّن القانوني إلا أنه مازال على قيد العمل في وظيفته في الجامعة متشدقاً على المحيطين به بأنه من قدامى المجاهدين ، وأنه سبب فيما هم فيه من رخاء ، واستقرار بينما سلوكه الإنساني لا يتماشى أبداً مع روح النضال الوطني الشريف ، وفي المقابل نجد أن الأبطال الحقيقيين لم يلاقوا التكريم اللائق كوالد (ناصر) الذي مات كمداً بعد أن فقد ذراعه أثناء عمله في مصنع للحديد ، والصُّلب دون تعويض ، ووالد (حنان) عامل النظافة الذي استشهد أثناء عمله بسيارة طائشة! اختيار اسم (ناصر) للبطل النبيل المهزوم ، والذي اعتقد أن الكاتبة قصدت به مآل التيار الناصري القومي في الجزائر من مرحلة مقاومة الاحتلال الفرنسي في خضم التيار القومي

الجارف ، والذي للأسف الشديد تحوّل تدريجيًا إلى الصورة المهزومة في نموذج (ناصر) الذي لم يعد يحمل من الانتماء إلا الاسم فقط ، وهنا ألححت الكاتبة بذكاء إلى التحوّل السياسي ، والفكري ، والذي لم يقتصر على الجزائر فقط بل امتدّ للعالم العربيّ بأكمله . وأخيرًا جاءت نهاية الرواية بشكلٍ مأساويٍّ من وفاة الأمّ (فاطمة) كمدًا بعد وفاة ابنتها (فرح) في إحدى المستشفيات الأوربية المعزولة بالإضافة إلى وفاة معظم المهاجرين في حوادث مؤسفة متوقعة لكونهم أضحوًا فريسة للمجرمين ، والخارجين عن القانون .!

نجا من القارب (كمال) فقط ، والذي كان زواجه من فلسطينية عربية طوق نجاة له في دلالة واضحة عن عمق الصلة بين العرب في أي مكان بينما أبقى (ناصر) زعيم مجموعة المهاجرين أن يستمرّ في حياته العيشية تلك كعبد لتلك الإنجليزية (جاكى) ، وهنا قرّر في الفجر إنهاء حياته غرقًا بالسقوط بسيارته في نهر (التيمز) اللندني في نفس الفجر الذي قرّر فيه مغادرة بلده ، والذهاب إلى المجهول لتنتهي الرواية ، وتُضحي مرثية مؤلمة لقوارب تبحث عن الحياة في شطآن بعيدة ، ولكنها لا تجد أمامها سوى الموت الأسود يُلَوِّحُ أمامها في كل مكان .!

المجموعة القصصية " جدار النار " ، وخیال علمي بنكهة عربية



يتمتع أدب الخيال العلمي بشعبية واسعة بين فئات القراء خاصة بين الشباب الذين يستهويهم هذا النوع من الأدب، والذي يجمع ما بين العلم المتجرد ، والصناعة اللغوية ، ويحمل درجة عالية من التنبؤ بالمستقبل في عالم متغير بشكل دائم ، والغلبة فيه لمن يملك ناصية " التكنولوجيا " الحديثة التي تمكن الدول من السيطرة ، والاكتفاء.

مجموعة " جدار النار " القصصية للكاتب (وائل عبد الرحيم) الصادرة عن دار نشر "الجامعية" عام " 2021 " تعتبر من الأعمال الأدبية التي تحمل الخيال العلمي كبصمة مميزة ، ومعبرة عن هذا النوع الخاص من الكتابة السردية التي تناولت مجموعة مختلفة من صور الخيال العلمي التي تم طرحها في العديد من قصص الخيال العلمي العالمي ، ولكن هذه المرة بصيغة عربية إسلامية فنجد أن الأحداث تدور في عالمنا العربي ، أو تبدأ منه ، والأبطال في تلك الحكايات من العرب ، والمصريين .

تبدأ المجموعة القصصية بقصة الخراب التي تصوّر حال مجتمعاتنا في المستقبل ، وكيف استملى المدن بالعشوائيات ، وانتشار إدمان المخدرات في كل مكان مع اتساع ظاهرة حروب الشوارع من أجل الغذاء نتيجة تحلل الحكومة حيث عدّد الكاتب النتائج المختلفة لذلك على الأرض ، وعن طريق حوار بسيط من طفل صغير ، وجدّه يتبين لنا أن هذا المجتمع الفقير لا يوجد به أغنياء حيث هربوا من الأرض إلى كواكب

أخرى عن طريق سُفنٍ فضائيةٍ تلمعُ في السماءِ تاركينَ مجتمعات الفقر المُدقعِ الذي تعيشُ فيه في تنبؤٍ قاتمٍ للمستقبلِ .

في قصةٍ عُنوانُها " أ - ع - ص . م " ، والذي كَانَ اختصارًا لجملة (أمةٌ عربيةٌ صينيةٌ موحدةٌ) يتنبأُ الكاتبُ بحربٍ تدورُ أحداثُها في المستقبلِ بين العربِ ، وحليفَتَهُم (الصين) من جهةٍ ، والغربِ ، وعلى رأسِهِ الولاياتُ المتحدةُ الأمريكيةُ من جهةٍ أُخرى ، وتَظهرُ من سياقِ القصةِ المغزولةِ بعنايةٍ توقُّعاتُ الكاتبِ للتَّنينِ الصَّينيِّ حيثُ ستصبحُ (الصينُ) القطبَ الأقوى عالميًا ، ومعها العالمُ العربيُّ الذي سيتقدَّمُ في كافَّةِ مَنَاحي الحياةِ لدرجةٍ أنَّ الصينيينَ سيرتدُّونَ الأرياءَ العربيةَ كدليلٍ على التبعيَّةِ الفكريةِ للنموذجِ العربيِّ المُتَحَصِّرِ في إشارةٍ إيجابيةٍ لمستقبلِ منطقتنا العربيةِ .

جاءتُ قصةُ (العودة إلى الموت) لتكونَ بمثابةِ جداريَّةٍ فكريةٍ ذاتِ بُعْدٍ فلسفيٍّ عميقٍ حيثُ يتناولُ الكاتبُ فيها قضيةَ العودةِ من الموتِ بواسطةِ اختراعِ عَقَارٍ في تحدٍّ صارخٍ للقَدَرِ ، والإرادةِ الإلهيةِ ، وتنبئُ من خلالِ الأحداثِ وجهةَ نظرِ الكاتبِ في تلكِ النهايةِ الصادمةِ للقارئِ الذي يُفاجأُ بأنَّ العودةَ إلى الحياةِ كانتُ بمثابةِ عِقَابٍ لِمَن تَلَقَّى العَقَارَ لأنَّ في الموتِ خلاصًا لهم من عذابِهِم الأُسْريِّ والاجتماعيِّ .! جَمَعَ الكاتبُ بذكاءٍ في قصةِ "السَّقَّاحَة " بين فكرةِ الاستحواذِ الشيطانيِّ على البَشَرِ في أدبِ الرُّعبِ ، وسيطرةِ الفضائيينَ على البَشَرِ كتمهيدٍ للغزوِ الفضائيِّ فنجدُ أنَّ البطلةَ تَقْتُلُ أبناءَها بعد أن أدركتُ أنهم تحوَّلوا إلى مُسُوخٍ فضائيِّةٍ

، وفي نهاية غير متوقَّعة يَنَنَحِّي القاضي عن مُناظرة قضيتيها في المحكمة ليكتشف القارئ أنَّ ابنَ القاضي قد تمَّ الاستحواذُ عليه بفعل تلك المخلوقات الفضائية الغازية.

لم يوفِّق الكاتبُ في قصة "مَظَلَّة تحتَ الشمسِ" ، والتي تدور أحداثُها بعد خمسة قُرُونٍ في صورة حربٍ عالميَّة بين العربِ ، والكيان الصهيونيِّ ، ومن خلفه الولايات المتحدة الأمريكية حيثُ سَتُدْمَرُ القنابلُ النوويةُ الإسرائيليَّةُ ، و سوفَ يستخدمُ العربُ سلاحَ التفطُّ ، وسوفَ يَتِمَكَّنُون من فتح (تل أبيب) ، وهنا أتساءلُ عن تواجدِ القنابلِ النوويةِ كسلاحٍ رادعٍ ، والوقودِ الأحفوري كمصدرٍ طاقةٍ بعد قرونٍ بينما يعملُ العالمُ حاليًا على التخلصِ منهما بكافةِ الوسائلِ .!

تناولتُ المجموعة القصصيةُ العديدَ من موضوعاتِ الخيالِ العِلْمِيِّ الأخرى من أمثالِ وباء (كوفيد) بأجياله الجديدة ، والسَّفر بين الأبعادِ الزمانية بين الأكوانِ المتوازية بالبوَّاباتِ الزمنيةِ وُصولًا إلى المفارقةِ في قصة "النيزك" ، والتي حوَّلَ الكاتبُ فيها النيازكَ إلى أسلحة فضائيةٍ لغزو الأرضِ في صورةٍ مُستَحْدَثَةٍ لأدبِ ما بعدَ الكوارثِ .

تنتهي المجموعة بقصةٍ "جَدَارِ النارِ" ، والتي تناولتُ ظاهرةَ النَّفاياتِ الفضائيةِ من بقايا الأقمارِ الصناعيةِ ، والسُّفنِ السابجةِ في مدارٍ حولَ الأرضِ ، وكيفَ ستكونُ تلكَ النفاياتُ بعدَ تفجيرِها بمثابةٍ حائطٍ ناريٍّ يَحْمِي الأرضَ من غزوٍ فضائيٍّ للأرضِ بناءً على اقتراحِ عالمٍ مصريٍّ ، ولكنَّ للأسفِ الشديدِ هذا الجدارُ المشتعلُ سيجعلُ

البشر مَساجينَ داخلَ كوكبِهِمُ الذي يملأُ الفضاءَ بنفائياته عبرَ الزمنِ لِيُنْهِيَ كاتبُنَا
مجموعَتُهُ بهذه التُّبوءَةِ الصَّادِمَةِ ، والناجِيةِ عن سوءِ استخدامِ الإنسانِ لمواردِ الأرضِ
، ومقَدَّرَاتِهَا !.

أخيراً فإنَّ مجموعَةَ جدارِ النارِ القصصيةِ هي نَتَاجُ فكريٍّ أصيلٍ لحركةِ أدبِ خيالٍ
علميٍّ مصريٍّ ، وعربيٍّ بدأتْ منذُ عقودٍ ، وأنتَجَتِ الكثيرَ ، والكثيرَ من الأعمالِ
الأدبيةِ ذاتِ التَّكْهَةِ العربيةِ الخالصةِ .

" د/ يُوسُفُ إدريس وَمَجْدُ الْكِتَابَةِ "

عندما جاء "تشيوخوف" من قلب الريف المصري



وهكذا، وحَوْلَ مَرَقِدِ "عزيرة" وظَلِيلَتِهَا، بدأ اختلاطُ ما يحدثُ بين أهل العزبة والترحيلة، "كان اختلاطاً مُتَحَفَظاً أَوَّلَ الأمرِ وفي حدودٍ، ولكنَّ أهل العزبة اكتشفوا - من خلاله - أنَّ الترحيلة لهم بلادٌ هُم الآخرون، ويعرفونَ مثلهم في الفِلاحةِ ويُفلحون

، ولهم أيضاً بيوتٌ وقرايِبٌ وعمَّاتٌ وخالاتٌ وبينَهم مُشاحناتٌ وخلافاتٌ، ولهم من الرِّيسِ شكاوى ومن المأمورِ والإدارةِ والتفتيشِ شكاياتٌ". كانت العبارةُ السابقةُ إحدى فِقَرَاتِ صفحاتِ النهايةِ من روايةِ (الحرام) التي تدلُّ على شخصيةِ كاتبِها . أديبٌ يَعْرِفُ ماذا يريدُ أَنْ يصلَ إلى القارئِ وبأيِّ وسيلةٍ يَعْبُرُ عَمَّا بداخلِهِ بذكاءٍ وبشكلٍ غيرِ مباشرٍ عن طريقِ صُنْعِ عَالَمٍ كاملٍ من الوصفِ المُسْتَقَى مِنْ عَيْنٍ ثابتةٍ خَبِرَتْ بِنَتِّهَا بكلِّ عُمُقٍ دونَ رتوشٍ أو تجميلٍ . فَمِنْ خلالِ هذا العالمِ المخلوقِ من وَحْيِ الواقعِ يسحبُ فيه كائِبُنَا القارئُ المُطَلَّ على العملِ في تردُّدٍ ليجدَ نفسَهُ فجأةً يغرُقُ تدريجياً دونَ أَنْ يشعرَ في مأساةٍ بطلُها كالمعتادِ " الظلمُ والفقرُ والجهلُ " !.

"يوسف إدريس" ابنُ محافظةِ الشرقيةِ ظهرَ جلياً للعيانِ كمبدعٍ مع أولِ مجموعة قصصيةٍ لَهُ " أرخص ليالي " حيثُ بدَتْ كتاباتهُ تَتَسِمُ بلونٍ جديدٍ لم يَأْلِفُهُ الواقعُ المصريُّ الخارجُ لتَوَهُ مِنْ تاريخٍ طويلٍ من الاحتلالِ والتغريبِ !. يَرَسُمُ بريشةَ فنانٍ شخصياتهُ؛ مِنْ الشارعِ والريفِ المصريِّ صائغاً الحوارَ العائِي الدَّارِجَ كأحدِ أدواتِهِ المُتَقَنَةِ للتعبيرِ عن هذه الروحِ الثائرةِ على الأعرافِ والتقاليدِ الأدبيةِ !.

بدايته انفجرت بين أحجار المجتمع الثقافي المصري بشكل خاطف ولامع . حتى إن ذلك قد لفت نظر قادات راسخة في الميدان الثقافي والأدبي نحوه حيث قال عنه عميد الأدب العربي " طه حسين " : أجد في "إدريس" من المتعة والقوة ودقة الحس ورقة الذوق وصدق الملاحظة وبراعة الأداء، مثلما وجدت في كتابه الأول " أرخص ليالي " من تعمق للحياة وفقه لدقائقها وتسجيل صارم لما يحدث فيها "

استعان "يوسف إدريس" بالقصة القصيرة منذ البداية كسيف قاطع لوصف الواقع المثقل بالهموم والسلبات مختصراً الوقت للقارئ المشغول بعالمه المتسارع الوتيرة والذي مكنته القصة القصيرة من مطالعة أدب جاد في وقت قصير ومع أقصى درجة من الانتشاء العقلي والوجداني. يوضح "يوسف إدريس" لماذا اختار القصة القصيرة بقوله: " اخترتها لأنني أستطيع بالقصة القصيرة أن أصغر بحراً في قطرة، وأن أمرر جملاً من ثقب إبر، أستطيع عمل معجزات بالقصة القصيرة، إنني كالحاوي الذي يملأ حبلاً طوله نصف متر، ولكنه يستطيع أن يحيط به الكون الذي يريد. القصة القصيرة طريقي في التفكير ووسيلتي لفهم نفسي، والإطار الذي أرى العالم من خلاله، إنه الإطار الذي وجدني ولم أجده " . مهنة الطب كانت من أهم الروافد التي ساهمت في تشكيل عقلية هذا الأديب النابغ حيث الممارسة الميدانية التطبيقية والتي تجعل من الأديب الطبيب متصلاً بشكل عضوي بكافة الشرائح المجتمعية من قاعدتها إلى قممها مع معاشية عميقة للواقع الإنساني في أضعف حالاته.

بدأت رحلته العمل مع الطب من مستشفى "القصر العيني"، التي عُيِّنَ بها عام 1951م، بعدَ تخرُّجه من كلية الطب في نفس العام، لكنَّ المسارَ تغيَّرَ إلى "صاحبة الجلالة"، عندما انتقل للعمل محرِّرًا بصحيفة "الجمهورية" عام 1960م، كانت موهبة الكتابة قد حسمت الصراع في قلب الكاتب "إدريس" بعد مرور عدَّة سنوات من بداية الرحلة مع العمل في الطب. جمع "يوسف إدريس" في أعماله بين نظرة الصحفي والأديب والمفكر، وكان على معرفة عميقة بواقع المجتمع المصري الذي تناوله بالسخرية الأدبية اللاذعة والجريئة؛ تميَّزت القصة عند "يوسف إدريس" بالواقعية المتجذِّدة، حيث أخذ يصوِّر الحياة اليومية ولاسيَّما للبسطاء من طبقات المجتمع، كما أنه جنح إلى استخدام العامية في قصصه، وإلى استخدام لغة سهلة بسيطة، حيث كان يرى أنَّ الفصحى لا يمكن أن تعبِّر عن توجُّهات الشعب بشكل كامل؛ وبسبب استخدامه للعامية واعتماده عليها دَعَاهُ عميدُ الأدب العربي "

د. طه حسين" في مقدمته لمجموعة "يوسف إدريس" "جمهورية فرحات" عام 1956 إلى أن يَرَفُقَ باللغة العربية ويبسُطَ سلطانها شيئًا ما على أشخاصه حين يَقتُصُّ ، كما يبسُطُ سلطانها على نفسه؛ اتَّخَذَ كاتبنا الحوارَ العاميَّ كركنٍ هامٍّ من أركانِ القصة عنده، ويمثِّلُ جزءًا عضويًّا من التَّشكُّلِ الدِّرامِيِّ للشخصيات التي غالبًا ما كانت من البسطاء الذين يصارعون من أجل الصمود أمام صِعَابِ الحياة، ولذا نجدُ أنَّ بطلَ قصة يوسف إدريس هو ليس بطلاً تقليديًّا على الإطلاق، ولكنه شخصٌ

نراه يومياً في كلِّ مكانٍ حولنا من شوارع مصرَ و ريفها الممتدِّ عبرَ وادي نيلها العتيق ؛ قال عنه الأديبُ الراحلُ أحمدُ الخميسي :

" ولادةُ القصةِ لم تكنْ تعنيْ نموّها ونضجها كمّا وكيفاً، إلى أنْ ظهرَ " يوسف إدريس " بأولى قصصه في جريدةِ المصري قبل ثورة يوليو 1952، ثم بصدورِ مجموعته "أرخص ليال" عام 1954 التي أحدثتْ في حينها ضجةً في الأوساطِ الأدبيةِ المصريةِ والعربيةِ " اهتَمَّ "يوسف إدريس" في أعمالهِ بالوصفِ والبحثِ عن المهمّشين

، واستخدام لغةٍ رشيقةٍ جديدةٍ، فكانَ رائدَ مدرسةٍ أدبيةٍ تجريبيةٍ باتتْ تُعرَفُ باسمِهِ ، وهي " المدرسةُ التعبيريةُ". انتمى كاتبنا للمدرسةِ الحديثةِ التي تأثرتْ بالأدبِ الرُّوسيّ ، وخاصةً فيما يتعلّقُ بطبائعِ الرُّوحِ الإنسانيّةِ و التي ميّزتْ كتاباتِ " تولستوي" و"ديستوفسكي" و"غوركي" ، وغيرهم وقد غلبتْ على أدبِهِم السِّمَةُ الواقعيّةُ ، بما تعنيه من فُضْحٍ للفوارقِ الطبقيّةِ والجهلِ والظلمِ الاجتماعيّ وبطبيعةِ الحالِ انعكسَ توجُّهُهُ المدرسةِ الواقعيّ على اللغةِ بحيثُ جعلتها قريبةً جدّاً من الواقعِ ، وخاصةً فيما يتعلّقُ بالحوارِ ، الذي غلَّبَ فيه أعضاؤها اللهجةَ العاميةَ ، حتى يكونَ أكثرَ صدقاً وتعبيراً ، وفي كتابِ "الإبداعِ القصصي عند يوسف إدريس" لمؤلّفه "كربرشويك" وترجمة "رفعت سلام" يرى المؤلّفُ أنّ "يوسف إدريس" كانَ بحقٍّ، الوريثَ الشرعيّ للمدرسةِ الحديثةِ، إذ حَمَلَ أهمَّ قِيَمِهَا، ودافعَ عنها من خلالِ إبداعاتِهِ وسجلاّتهِ الفكريةِ، وانتصرَ للعاميةِ بلْ ولم يُخَفِ استخفافَهُ باللغةِ الفصيحةِ. تعلقَ "يوسف

إدريس" بالمسرح في وقت مبكر، وانضم لفريق المسرح حين كان طالباً في المرحلة الثانوية و يتضح في نصوصه المسرحية ، أنه يقوم بدورَي المؤلف والمخرج في نفس الوقت، ويضمّن رؤيته أبعاد كل شخصية، بل طبيعة حركتها فوق خشبة المسرح ورُغم قِلّة كتاباته المسرحية التي عدّها (ثاني مسرحيات فقط)، فإنّه أصبح من أهمّ المؤلفين المصريين في هذا المجال ، وسبّح ضدّ تيار المسرح التقليديّ ، وعمد إلى إشراك الجمهور في العرض المسرحي ، ومن أبرز أعماله «الفراير» و«المهزلة الأرضية» و«المخططين» وغيرها. قالت زوجته أدينا الكبير فيما يخصّ المسرح : "الفراير" أقرب أعمال "يوسف إدريس" إلى قلبه، وأشدّها صعوبةً ، فالمسرح صعبٌ، والفكرة كانت جديدةً ، أرهاقته تماماً، والأمر لم يتوقف عند الكتابة ، بل إنّه أتعبتُه أيضاً في أثناء الإعداد لها على خشبة المسرح ، لأنّ مخرج العمل "كرم مطاوع" كان من الشخصيات المرهقة جدّاً في التعامل ، عنيف الطّبع ، والدكتور "يوسف" كان عنيفاً أيضاً ، ما زاد من صعوبة الأمر عليه ، إلا أنّها في النهاية خرجت بشكل لا مثيل له

، وهو أحبّها كثيراً. كتب "يوسف إدريس" المقال وقد تمّ جمع المقالات في العديد من الكتب مثل "اكتشاف قارة"، "جبرتي الستينيات"، "مفكرة يوسف إدريس"، "أهمية أن نتشكّف يا ناس"، "انطباعات مستفزة"، "عزف منفرد"، "فقر الفكر وفكر الفقر"

، "الأب الغائب" ، وكالمعتاد كانت مقالاته نقله نوعية في كتابة المقال المتأدّب كما فعل من قبل في القصة القصيرة والرواية والمسرحية العربية فكاتبتنا كان نبع ماء

مُتَجَدِّدٍ لَا يَنْضَبُ وَلَا يَهْدَأُ. اعتَبَرَ كَثِيرُونَ "يوسف إدريس" "تشخوف" العرب، ولكنَّه أتى من الرِّيفِ المِصْرِيِّ لوجودِ العديدِ من أوجه التشابه بين الكاتِبَيْنِ حيثُ كلاهُمَا كَانَ طَبِيبًا وكلاهُمَا كَتَبَ القِصَّةَ القِصِيرَةَ الواقِعيَّةَ لاعتقادِ الكاتِبَيْنِ أَنَّ القِصَّةَ القِصِيرَةَ أَسهلُ شَكْلٍ أدبيٍّ؛ وأصعبُ تَرْكِيبَةً فنيةً في تَرْجَمَةٍ واقِعٍ لِحِظَةٍ نفسِيَّةٍ إلى التَّعبيرِ عنها بكلماتٍ. فَقَدْ تناوَلَتْ قِصَصُهُمَا الرِّيفَ المِصْرِيَّ والرُّوسِيَّ بِشَكْلِ سَاخِرٍ حيثُ سَخِرَا مِنَ النِّظامِ المَلَكِيِّ العَلَوِيِّ والقِصْرِ الرَّوسِيِّ مُسْتَحْدِمًا الوَاقِعَ كَمَجَالٍ لَتِلْكَ السُّخْرِيَّةِ اللَّادِعةِ ، وَكِلَا الكَاتِبَيْنِ أَيْضًا تَمَيَّزَ أَسْلُوبُهُمَا بِالرَّمْزِيَّةِ وَ التَّجَرِبَةِ المَكَانِيَّةِ فالْمَكَانُ هُوَ البَطْلُ الحَقِيقِيُّ في كَثِيرٍ مِنَ الأَحْيَانِ ؛ فَكُلُّ ما سَبَقَ تَشَابَهَ فِيهِ الأَدِيبَانِ بِشَكْلِ مُتَقَارِبٍ لِلْغَايَةِ وَصُورًا إِلَى أَهَمِّ مُشْتَرَكٍ بَيْنَهُمَا وَهُوَ التَّنَاوُلُ الرَّأْسِيُّ لِلشَّخْصِيَّاتِ وَالَّذِي يُحَلِّلُ العَمَقَ النَفْسِيَّ لِلشَّخْصِيَّةِ عَنْ طَرِيقِ اسْتِنطَاقِهَا بَدَلًا مِنَ التَّنَاوُلِ الأَفْقِيِّ الدَّارِجِ المَعْتَمِدِ عَلَى وَصْفِ الرَّأْيِ العَلِيمِ بِالشَّخْصِيَّاتِ. وَأخِيرًا فَإِنَّ كَاتِبَنَا الرَّاحِلَ تَمَتَّعَ بِحِمَاةٍ حَافِلَةٍ مِنَ الإِنْتِاجِ الأَدَبِيِّ الحَافِلِ بِالإِضَافَةِ إِلَى العَدِيدِ وَ العَدِيدِ مِنَ الصَّرَاعَاتِ الثَّقَافِيَّةِ وَالَّتِي خَاضَهَا "يوسف إدريس" دَفَاعًا عَنِ الحُرِيَّةِ

، وَالْعَدْلِ ، وَالتَّوْبِيرِ ؛ حَيْثُ كَانَ يُؤْمِنُ بِقِيَمَةِ الكَلِمَةِ ، وَكَاتِبِهَا .

وَلَنُخْتِمَ بِمَقُولَتِهِ عَنِ الكِتَابَةِ الَّتِي قَالَ فِيهَا : " أَنَّ تُؤَلِّفَ كِتَابًا، أَنَّ يَقْتَنِيهِ غَرِيبٌ ، فِي مَدِينَةٍ غَرِيبَةٍ ، أَنَّ يَقْرَأَهُ لَيْلًا ، أَنَّ يَخْتَلِجَ قَلْبُهُ لِسَطْرِ يَشِبُّهُ حَيَاتُهُ ، ذَلِكَ هُوَ مَجْدُ الكِتَابَةِ".

رواية " بكائية الصُّعُودِ إلى السماءِ " .. حينما تبكي الأمُّ الثائرةُ !..



يُعَدُّ الأدبُ الهادفُ من أهمِّ أدواتِ الأديبِ المثقَّفِ للتعاملِ مع الواقعِ عن طريقِ
تشرُّحه ، وبيانِ تعقيداته ، وكيفيةِ التعاملِ معه.

من هذه الصُّنُوفِ الأدبيةِ التي تُعَدُّ من أسمى أنواعِ الأدبِ هو أدبُ الثورة ، وأدبُ
السجونِ خاصَّةً لو كان هذان الصنفانِ من الكتابةِ الأدبيةِ نابعينِ من قلمِ جريٍّ حُرٍّ
يحملُ على كتفيه خبرةً تاريخيةً حياتيةً اعتزكتْ هذه الثوراتُ ، وما تَبِعَها من نتيجةٍ
متوقَّعةٍ من سجنٍ ، واعتقالٍ لبيدَّ الأديبِ في التعبيرِ عن تجربتهِ بكلِّ سهولةٍ ، ويسرٍ
فهو كَمَنْ يفرِّغُ فيلماً قديماً شاهدهُ بكلِّ تفاصيلهِ ، وما عليه سوى اجتراحِ الماضي
، وما يحمله من ذكرياتٍ عَصِيبةٍ ، وقاسيةٍ

ومن أمثلةِ هذا النوعِ روايةِ الكاتبةِ القديرةِ ، والمناضلةِ المصريةِ

(نادية شكري) ، والتي صدرتْ عن دارِ نشرِ " لُتيان " تحت عنوانِ

" بكائيَّةُ الصُّعُودِ إلى السماءِ " ، والتي رسمتْ الأديبةُ المحترفةُ مِنْ خلالها لوحةً من
المدرسةِ الواقعيَّةِ لتغيَّراتِ شعبٍ ، ومعاناةٍ أمَّ تشابكتْ مع مناخِ ثورةٍ بدَّأتْ عقب
نكسةِ (٦٧) المبريرةِ في الجامعاتِ المصريةِ وصولاً الى ثورةِ (٢٥) المجيدةِ . صِيغَتِ
البكائيَّةُ الروائيَّةُ على لسانِ سيدةٍ أخذتْ تنتَقِلُ في الزمنِ بين الماضي القديمِ

، والحديث لتروي لنا تجربة أم شاهدت أحداث ٢٥ (يناير) خلال ثمانية عشر يوماً من خلال توثيقها للواقع الإنساني المعاصر للأحداث سواء من خلالها ، أو من خلال البطل الثاني للقصة الابن (شريف) ، ومن خلال هذا "الديالوج" المستمر بينهما سيتبين للقارئ أن الابن هو النسخة المعدلة للأب لكن مع إضافة استخدام "التكنولوجيا" الحديثة من مواقع التواصل الاجتماعي التي ساعدتهم في تلك الأيام على الحشد ، والتعبئة الجماهيرية.

سيلاحظ القارئ تفاصيل التفاصيل خلال مطالعته للرواية ، وذلك إن دل فهو يدل على واقعية الأحداث ، والمواقف ، والشخصيات ، والتي عايشتها بطلة القصة الأم في (يناير ٢٠١١) ، والطالبة في أحداث (1972) ، وهذا الصديق في التسجيل أضفى على العمل روحاً توثيقية بالغة الدقة تصلح لأن تكون مادة يمكن استخدامها فيما بعد من قبل الباحثين ، والمؤرخين ليشرحوا هذه الفترة بكل دقة وواقعية.

بدأت الكاتبة الرواية بمشهد تمهيدي يدور حول علاقة بين البطلة الشابة الصحفية الأم في " يناير " ، والعشيق الحالم مهندس الديكور ، وكيف أن متحف التحرير

، ووجوه الفيوم ، والبحث عن تاريخ الاحتلال " الهكسوسي " ، والروماني لمصر كانت حاضرة في تلك الحالة من الحب الأصيل بين البطلين حتى أن البطلة نعتت وجوه الفيوم بالأصحاب . ينتقل القارئ بعد ذلك بشكل أشبه بالقفزة من تلك

الحالة الشاعريّة الهادئة إلى المناخ الذي أحاطَ بأجواء ثورة "يناير" لتنهك الكاتبة في تسجيل كلّ ما يتعلّق بالثمانية عشر يوماً بكلّ دقة ، وتفصيلٍ بدأ من الإعلان عن اعتصام (٢٥ يناير) وصولاً إلى لحظة ظهور بيان تنجّي (مبارك) ، والذي قرأه نائبه لينتهي المشهد بفرح عارٍ لتنتقل الكاتبة إلى المرحلة الثالثة من العمل ، وهو أحداث ما بعد الخلع ، ومرحلة ظهور (الإسلام السياسي) على الساحة ، وامتطائهم للثورة ، ودفعها في اتجاهٍ مُغيّرٍ تماماً !.

كانت المصدقية طاغيةً على العمل فقد ذكرتِ الكاتبة وقائع، وملابس فتح الحدود بين (عزّة ، وسيناء) ، وما أسفّر عنها من دخول عناصر تخريبية إلى أرض الوطن ، وذكرتِ الكاتبة أيضاً ظهور أصحاب الشّعِر الأبيض في الفضائيات على الشاشات ، وإزاحتهم للشبابِ البطل الحقيقي للرواية !.

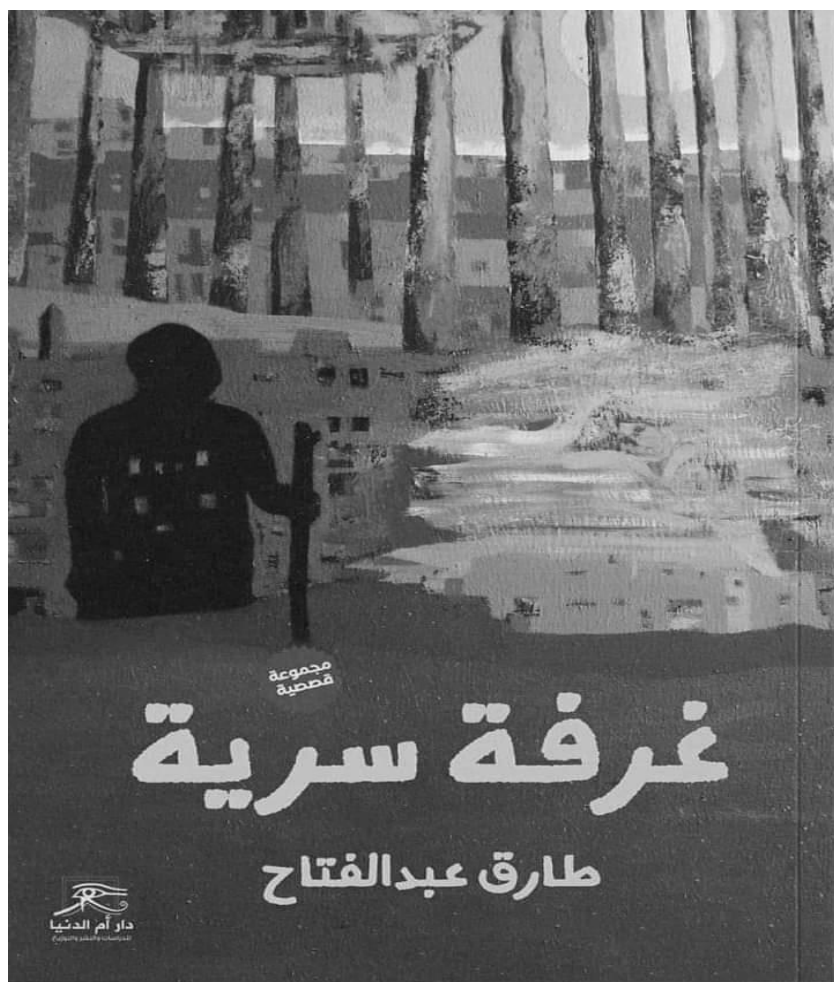
وأما من حيثُ التناول التاريخي فلم تنسِ الكاتبة التعبير عن رأيها الحايدي في نظام الرئيس (عبد الناصر) ، وبالرغم من سلبياته لكنّ ذلك لم يمنعِ الكاتبة من ذكرِ الإيجابيات ، والتي انتهت إلى وصفِ مشهدِ الجنازة المهيّب للزعيم الراحل بكلِّ صدقٍ حيثُ ، وصفتُ المُشيعين بالتوهّة ، واليُثم الجماعي . تُعدُّ الرواية من رواياتِ النَّفسِ الواحدِ فقد أرادتِ الكاتبة أن تجعل أحداثها متواصلة بلا انقطاع

، وتوقّف ، فنجدُ أنّ المشاهد تتلاحق من مشهدٍ تمهيدٍ مُفعمٍ بالحبّ إلى مشهدِ الثورة ، وبدايتها ثم انتهاءً بمشهدِ اعتصامِ طُلّابِ جامعة (عين شمس ١٩٧٢)

،وأخيراً مشهد سجن الطالبات في "سجن القناطر" ، والوصف الدقيق لكل شيء هناك لنصل إلى الذروة في الأحداث حيث إضراب الفتيات عن الطعام ، والذي انتهى بمشهد النهاية بزيارة الأهالي لبناتهم في السجن ، وتبشيرهم بقرب الإفراج عنهم لتكون تلك الرواية بمثابة جدارية للأدب الثوري الممزوج بأدب السجون . لم تُغفل الكاتبة التاريخ الذي هو محور العمل فاستدعت قصة من التاريخ القبطي حيث عصر (الشهداء) من خلال قصة الأم "دولاجي" ابنة مدينة (إسنا) في صعيد مصر

، والتي عايشَت عصر الاستشهاد الأول حيث الرومان الغزاة يفرضون الوثنية على أهل مصر الأقباط المسيحيين ، وتُجبرُ الأم ، وأولادها المراهقون على السجود للأوثان فترفض ، وتحثُ أبناءها على العصيان لينتهي بهم الحال بالاستشهاد بالدِّبح على رُكبتَي الأم الثكلى ، وهذه المقاربة التاريخية أكّدت الكاتبة من خلالها بدكاء دور الأم المصرية في التصدي للظلم ، والمقاومة عبر الزمن فما حدث في (يناير) لم يكن خارج السياق بل من داخله، وعلى استقامته . ويرأى فإن البكائية الروائية صيغت في هذا العمل بكل حرفة ، وإتقان بالإضافة إلى المصدقية السردية المرسومة بدماء الشهداء الذين صعدوا إلى السماء ليتركوا الأرض للمتنافسين من (إسلاميين ، ولبراليين ، وعلمانيين) على صدارة المشهد الإعلامي بعلو الصوت الذي شبهته الكاتبة ببرج "بابل" في حضارة ما بين النهرين القديمة لتبتعد النخبة عن الجمهور مسافة ما بين الأرض ، والسماء وتنتهي البكائية الروائية بهذا التنافس الأرضي الغير أخلاقي على كعكة الوطن .!

" غُرْفَةُ سِرِّيَّةٍ " مجموعة قصصية بطعم السيرة الذاتية



الكتابة السردية الأدبية هي عبارة عن خلاصة التجربة الإنسانية ، وتستمد قيمتها بما تحتويه من مصداقية ، وتجربة ذاتية ، وقدرة على صياغة الواقع بكافة تناقضاته ، واختلالاته بشكل أدبي مُتقنٍ يستطيع أن يصل هذه الحالة الفريدة من الإبداع الأدبي إلى وجدان القراء خاصة عندما يتميز الكاتب بتاريخ حافل من الدراسة الأكاديمية ، والثقافة الإنسانية التي تمكّنه من استدعاء تلك التجربة العميقة عند تشكّل أي عمل أدبي من قصة ، ورواية ، ومسرح ، وشعر .

عبّرت المجموعة القصصية للإعلامي بالتلفزيون المصري (طارق عبد الفتاح) عن تلك الحالة من المصداقية ، والتجربة التي استمدت رافدها الرئيس من أديب مصري يتمتع بمجموعة متنوعة من الخلفيات الدراسية ، والحياتية فهو خير إعلامي قدير ، وفي نفس الوقت ابن بارّ للمنهج الأكاديمي السينمائي ، وسبقت مشاركته في العديد من الأعمال الفنية من سينما ، ومسرح ، وتلفزيون ، وكل ما سبق جعله يصوغ هذه الرحلة العمرية الطويلة المتعددة الأوجه في أول عمل أدبي له ، وهو تلك المجموعة القصصية الصادرة مؤخراً عن دار نشر (أم الدنيا) لتكون تذكيراً لميلاد وجه آخر لهذا المبدع القدير .

المجموعة ذات الستة والثمانين صفحة منذ البداية يتصدرها غلاف أنيق التصميم يحمل لوحة فنية بديعة من الفن التشكيلي للفنان (سيد هويدي) ، والذي أتبع بعدد كبير من اللوحات الفنية المتنوعة داخل المجموعة التي تصدرت معظم القصص ، وعبر

محتواها الفني عن موضوع القصص بشكل زاج بين الأدب ، والفن ، وجعل القارئ مشدوداً رويداً رويداً إلى محتوى المجموعة القصصية ، وما حملته في بطنها من لوحات تشكيلية رسمها العديد من الفنانين من أمثال (علاء الحلوجي ، ووحيد بلقاسي

، وإيفيلين عشم الله ، وسندس داغر ، وغيرهم) من المبدعين الذين زينت لوحاتهم القصص في تصغير رائع.

صمم الكاتب مجموعته في ثلاثة قوالب فكرية اندرجت أسفلها موضوعات القصص دون أن يشعر القارئ بهذا التخطيط فنجد أن المجموعة تناولت قصصاً فلسفية ، وقصص السيرة الذاتية ، و قصصاً ترصد اختلالات الواقع ، وما طرأ عليه من تغييرات .

جاءت قصة (أبيض) في صدارة القصص الفلسفية ، والتي تناولت رحلة الحياة بعد الموت في استدعاء التخيل المذكور فيما يُعرف بحالات العائدين من الموت ، وكيف يمر أمامهم شريط الحياة بكل ما به من سلبيات وإيجابيات .

كذلك جاءت قصة (الغريبان) لتعبر عن تلك الحالة الفلسفية حيث التفاؤل بما قد اعتدنا أن نتشاءم منه في سخرية واضحة من القناعات البشرية الساذجة .

وقصة (نظرات من رصاص) ، وما حملته من رمزية في تحدي اليمامة الرصاص بالشجاعة ، والثبات ، وما يضمنه من صمود الضعيف أمام بطش العالم !.

وجاءت قصة (غرفة سرية) لتعبر عن صدارة القصص التي حُلَّتْ الواقع الحالي وأوجاعه بشكل عميق ، وبلغ في تناول حياة أحد المهتمشين ، والذي يسكن سطح إحدى (الرجولات) الممتدة على شاطئ البحر بعد أن أغلق السطح بقطعة من الخشب ويحوّله إلى (سندرة) دون أن يشعر به أحدٌ لدرجة موته بها ، وتحولها إلى تابوت لجنائنه الهزيل لتكون النهاية بمثابة صرخة لهذا المجتمع الذي يلفظ هؤلاء ، ويرأي فإن هذه القصة القصيرة تصلح رواية بما تحمله من عمق يحتاج إلى الكشف الفكري عن كافة جوانبه فهي تحتل الكثير ، والكثير من التحليل ، والعرض ، وبالإضافة إلى (غرفة سرية) جاءت قصة (طيب القلب) لتعبر عن الهجرة الداخلية بكافة أوجاعها ، وقصة (سكر زيادة) التي اتصفت بالكوميديا السوداء لفساد الصحافة حيث الجميع يحصلون على ما يريدون بوسائل ملتوية فنجد (عم أحمد) يتوسل بالدعوات

، وأميرة يجسدها ، وسعيد بالتوجيه الإعلامي في تأكيد على حالة الفساد الذي يُصيب بعض المؤسسات الصحفية.

لم ينس الكاتب تأثير التكنولوجيا الحديثة على مفهوم التواصل الاجتماعي فنجد أن قصة (موعد غرامي) ، وما طرحته من نقد لاذع لعلاقة عاطفية نبّت عبر (الفيديو) بين أرمل ، ومطلقة في عقديهما السابع ، والسادس من العمر ، وكيف أن هذه

العلاقات الافتراضية تحمل درجةً عاليةً من الخداع ، والريف عن قصدٍ أو دون قصدٍ.

كانت قصصُ السيرة الذاتية لها الغلبةُ في قوالبِ المجموعة القصصية فعبّرت عن حالةِ عاشها الكاتبُ خلالَ رحلةِ عمره فقصة (أقنعة الفن) عبّرت عن سيرة ذاتيةٍ لواقعٍ في مأزوم ، وقصة (يومها كان السن ضاحك) عبّرت عن تغييراتِ الزمن ، وبصماته على الإنسان في مراحلهِ العمرية المختلفة ، وقصة (حيوانات مفترسة) التي عبّر فيها الكاتب عن مظاهر المأساة التي يعيشها الأفرقة بسببِ تفشي الفقر، وما يتبعهُ من أمراضٍ فتّاكةٍ مثل (الإيدز) ، والتي استقاها من عمله كخبيرٍ إعلاميٍّ بوزارة الخارجية في (تنزانيا) كما يتضح من سيرته الذاتية .

وبرأيي فإنّ (غرفة سرية) هي بصمةٌ أدبيةٌ واضحةٌ لكاتبٍ متميّزٍ حاولَ من خلالَ عمله الأدبيّ الأوّل أن يوثّق تجربةً ذاتيةً لواقعٍ عاشهُ عبر السنين ، وصاغهُ عبّر مجموعةٍ من القصص القصيرة التي تنضجُ صدقًا ، وواقعيةً ، ونقدًا لاذعًا لمناخٍ سلبيٍّ سائدٍ طالما تَمَنَّيْنَا أن يتغيّر جذريًا نحو مستقبلٍ أفضل .

" وَثَالْتُهُمَا الْقَمَرُ " رَسَائِلُ شَاطِئَةٍ بِطَعْمِ الْأَكَمِ الْبَشَرِيِّ



تنوّعت أساليب كتابة الرواية العربية على مدار تاريخها منذ بداية ظهورها في أوائل القرن العشرين في صورةِ قوالب متنوعة حاول من خلالها المؤلفون تقديمَ أعمالهم مختلفةِ الموضوعات ، والمضامين بشكلٍ يجذب القارئ ، ويكسرُ مللَ التكرارِ للقوالبِ السائدةِ المتكررةِ رواية " وثالثتهما القمر " للأديبة " نادية شكري " الصادرة مؤخرًا عن دار (المصرية السودانية الإماراتية للنشر) تُعدُّ نموذجًا لقالبٍ فنيٍّ مبتكرٍ حاولت من خلاله الكاتبةُ المخضمةُ طرحَ فكرتها الرئيسية من خلال قصةٍ بسيطةٍ ظاهريًا عميقةٍ متشابكةٍ باطنياً خاصةً إذا كان القالبُ الفنيُّ عبارةً عن مجموعةٍ من الرسائلِ بين بطلي الرواية " صافي " و "وسام" ، وبالطبع كانت تلك الرسائل تحملُ صبغةَ العصرِ في صورةِ مجموعةٍ من "الإيميلات الإلكترونية" المتعددة ، والتي حملت في طياتها العديد ، والعديد من الأفكارِ الصِّمْنِيَّةِ التي تضحُّ أُلماً و ، شجناً

تناولتِ الكاتبةُ - من خلالِ البردياتِ "الإلكترونية" الطابع - مشاكلَ مجتمعٍ مأزومٍ بذكوريةٍ طاغيةٍ جعلت من استغلالِ المرأةِ حقًا مستباحًا للرجلِ الشرقيِّ ، وفي نفس السياقِ جاءت "الهيراركية الأكاديمية" في المجتمعاتِ البحثية لتكونَ أشبهً بالذكوريةِ في صِلَفِهَا ، وظلمِها حيثُ يستغلُّ الأعلى مرتبةً الأقلُّ منه مستبيحًا علمه ، وعصارة فكره . تناولتِ الكاتبةُ المتمكنةُ بذكاءٍ امتدادَ الأزمة للعديد من فئاتِ المجتمع كالأطباءِ مثلاً بالرغم من تأكيدها أنَّ المخطئَ منهم يلقي جزاءهُ في النهاية

وبصياغةٍ واعيةٍ غير مباشرةٍ اشتبكتِ الكاتبةُ مع أحد "تابوهات" المجتمع ، وهو المرضُ النفسيُّ ، وعلى رأسه الاكتئابُ حيث طرحت أسبابَ هذا المرضِ من ظلمٍ ، وقهرٍ اجتماعيٍّ ، ووظيفيٍّ ، وكيف أنه يدفع صاحبه مهما كانت قوته إلى اليأسِ ، واللبؤءِ إلى إنهاءِ ألم الحياة ، وطرحت أيضاً الحلَّ في صورةِ العلاج الطبيِّ في المصحَّاتِ النفسيةِ المتخصصةِ ، والعلاجِ السلوكيِّ المعرفيِّ من تواصلٍ إنسانيٍّ بين " صافي" الباحثة في علم النفس مع "وسام" الباحث المصاب بالاكتئاب الشديد بعد صدمةٍ إنسانية عميقة ، وتمَّ التأكيدُ على إمكانية العلاجِ في صورة خروج المريض بعد شفائه على يد الطبيب الشاب الطيب "بيتر" .

شملت الروايةُ الكثيرَ من الألوانِ الإبداعيةِ المتنوعةِ من أمثلةِ الخواطر المصاغة بعنايةٍ ، والرسائل المفتوحة إلى الخالق عز وجل ، و التي عبَّرَ من خلالها البطلُ عن أوجاعهِ وصراعه الداخليِّ بأسلوبٍ اتَّسمَ "بالدستوفسكية" الفلسفية الخالصة .

اختارتِ الكاتبةُ عنواناً ملفتاً للرواية ، والذي تمَّ صياغتهُ على وزن جملةٍ مُستقاة من التراث ، ولكن بمعنى مختلفٍ تماماً حيثُ القمرُ الذي أضاء تلك الليلة التي حاولَ البطلُ فيها الانتحارَ ، وأنقذتهُ فيها "صافي" لتؤكدَ على أنَّ العلاقةَ بين الرجلِ ، والمرأةِ الناضجينَ علاقةٌ ساميةٌ حيثُ أنقذتِ المرأةُ الرجلَ من هذا الثُّقبِ الأسودِ المتمثِّلِ في المرضِ النفسيِّ القاسي ! .

جاءتْ نهايةُ الروايةِ مفتوحةً حيثُ لم يَعْرِفِ القارئُ كيفَ ستكونُ العلاقةُ بين بطليِ
القصةِ ، وبالرغم من عددِ صفحاتِ الروايةِ المتوسطِ إلا أنَّ التَكيِيفَ ، والصياغةَ
المُحترَفةَ جعلَني كقارئٍ أشعرُ أنَّ الروايةَ مليئةٌ بالأحداثِ ، والشخصياتِ التي تَمَّ
تضفيرُها جيِّداً في مجموعةٍ من الرسائلِ الشاطِئَةِ ، والتي وَصَفَتِ الأَلَمَ البشريَّ في
مُجتمعنا بأقصى درجةٍ ممكنةٍ !.

" حَائِرَاتٌ " مجموعة قصصية بطعم الشَّجَنِ



مهنة الطَّبِّ من المهنِ التي تحملُ لصاحبِها الكثيرَ ، والكثيرَ من صنوفِ الأحداثِ

، والمواقفِ ، والشخصياتِ ، والتي تجعلُ من الطبيبِ حكيماً بالطبيعةِ البشريةِ حيثُ يرى الإنسانَ في أضعفِ حالتهِ ، وفي أنقاهَا بلا أيِّ رُثُوشٍ أو تجميلٍ ممَّا جعلَ القدماءَ يسمُّونَ الطبيبَ الحكيمَ بما لَهُ من خبرةٍ بالحياةِ من خلالِ تعاملِهِ مع المريضِ ، والألمِ والموتِ .!

المجموعةُ القصصيةُ المعنونةُ بـ "حائرات" للدكتورة (مروة عبد اللاه) الأستاذةُ الجامعيةُ نموذجٌ قياسيٌّ كلاسيكيٌّ للأدبِ المتولِّدِ لَدَي طبيبةٍ اعتزكتِ الحياةَ من خلالِ مرضاها ، وحرَّكوا بها النزعةَ الإنسانيةَ الدفينةَ دافعةً لها لكتابةِ تلكِ المجموعةِ البديعةِ ، والعميقةِ .

المجموعةُ أشبهُ بمذكراتِ طبيبةٍ مصاعغةٍ في صورةِ قصصٍ متنوِّعةٍ الجامعِ المشتركِ بينها هو الشجنُ المصحوبُ بدرجةٍ عاليةٍ من الألمِ ، ومع ذلكِ يغلفُ من الخارجِ بحالةٍ متناهيةِ الغرابةِ من الرِّضا ، والإيمانِ ، والتسليمِ بقدرِ اللهِ .

معظمُ أبطالِ القصصِ من النساءِ ، اللاتي تحدَّينَ الحياةَ ، و صبرنَ على المحنِ ، وكانتِ القصةُ الأولى في المجموعةِ " ذاتُ الرِّداءِ الأسودِ " صادمةً للقارئِ فالكاتبةُ لم تختَرِ التمهيدَ مع المُتلقي ، ولكن عِوضًا عن ذلكِ كجراحٍ جادٍ مُعتادٍ على علاجِ المرضى

جراحياً اختارت مواجهة القارئ بهدف المجموعة من البداية ، وصعدت به إلى قمة الشجن بهذه القصة ، والتي خسرت فيها أم مطلقة طفلها ، وهي مع ذلك راضية ، ومحتسبة ذلك بنفس مطمئنة !

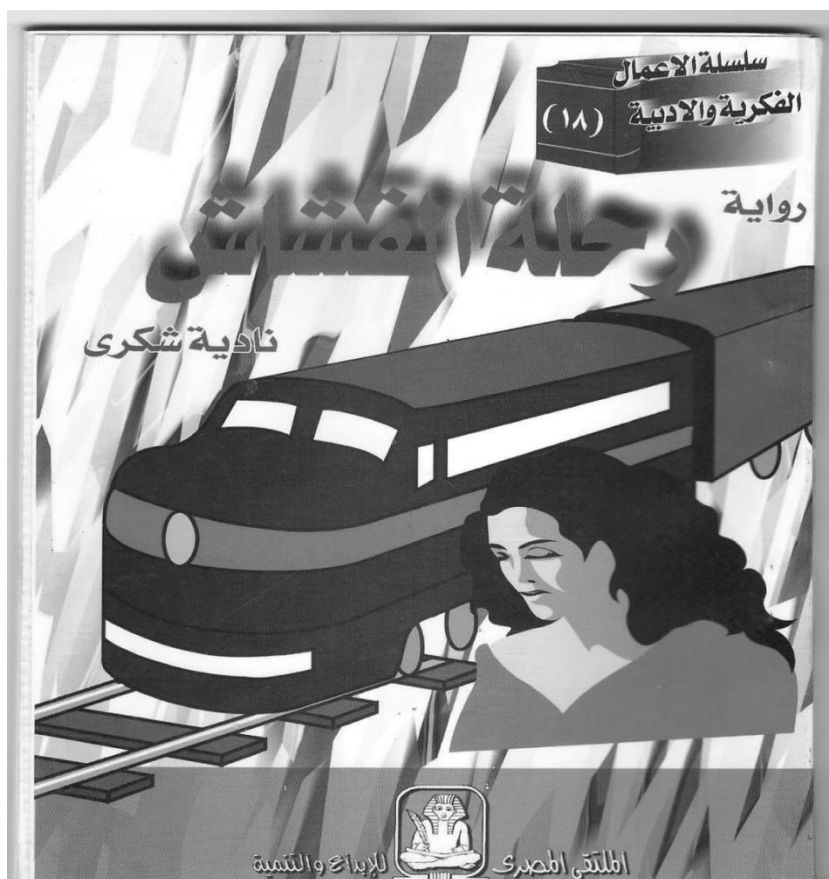
كان الغرض الفلسفي واضحاً كرابط بين معظم القصص في مفهوم الحياة الحقيقي ، والهدف منها ، وتجلى ذلك في قصتها "الفرار من المقصلة " التي تحكي قصة شاب محكوم عليه بالإعدام لجرمة قتل في شجار ، والتقت به كطبيبة في مركز طبي ، وكيف أنه فقد عمره بسبب جريمة اقترفها في لحظة غضب ، وأيضاً تجلّت النظرة الفلسفية العميقة في قصتها " الحبس " التي طرحت فيها القهر الأبوي في أقصى تجلياته .

وتقريباً كانت نظرة الكاتبة للرجال بها درجة ما من السلبية ، و ظهرت في أكثر من قصة ، وربما تلك هي الحقيقة في قصص أبطالها نساء كن صامدات في وجه الحياة الطاحنة هنّ بينما فرّ أزواجهن بكل خسة ، وجبن ، وعدم مسئولية !

وختاماً : فإن المجموعة القصصية بالرغم من عدد صفحاتها القليل نسبياً لما نراه من مجموعات قصصية مشابهة إلا أنها تحمل عمقاً ، ودفقاً إنسانياً لطبيبة مجرّبة حاولت توثيق ما تراه في عملها من نماذج إنسانية عظيمة تستحق الثناء ، والإعجاب .

روايته " رحلة القشاش "

وتوثيقه مجتمع مصنع " كيما " ، وتشيد السد العالي



يُعَدُّ الأدبُ وخاصةً فنُّ الروايةِ أحدَ أهمِّ الوسائلِ التي تحملُ صورةً تشريحيةً للواقعِ الإنسانيِّ المعاصرِ لحدِّثِ ما ، ولا سيَّما إذا كان هذا الحدثُ المتناولُ في الروايةِ أو حتى في القصةِ القصيرةِ حدثًا تاريخيًا ضخمَ التأثيرِ ، والتبعاتِ في ذاكرةِ أمةٍ يمتدُّ أثرُهُ إلى أجيالٍ ، وأجيالٍ لَمْ يَسْعِفْهَا القَدَرُ من معاصرةِ هذه الواقعةِ التاريخيةِ ، ولم تجدْ إلا مرآةَ الأدبِ كانعكاسٍ وحيدٍ مُتاحٍ صادقٍ بعيدًا عن كتبِ التاريخِ ، والتي تحملُ تأثيراتِ نُظُمٍ سياسيةٍ متعاقبةٍ ذاتِ توجُّهاتٍ مختلفةٍ متضاربةٍ .

جاءتْ روايةُ "رحلة القشاش" للأديبةِ القديرةِ (نادية شكري) ، والتي طالعُها مؤخرًا بالرُّغمِ من صدورِها عام (١٩٩٨) عن دارِ (الملتقى العربي) بالإسكندريةِ لتمثِّلَ نموذجًا قياسيًّا للأدبِ الروائي الذي تناوَلُ واقعةً هامةً في تاريخِ مصرَ كمشروعِ بناءِ السدِّ العاليِ ، و ما أحاطَ به من ظروفٍ إنسانيةٍ بعيدًا عن الحالةِ الدِّعائِيَّةِ التي صاحبتْ إنشاءَ السدِّ ، وقصدتْ الدولةَ وقتها شحذَ المعنوياتِ ، والهممِ كمناوئةٍ للظروفِ الدوليةِ التي صاحبتْ بنائه من استقطابٍ عالميٍّ حتى أضحتْ هذه "البروباجندا" هي الصورةُ الوحيدةُ المتاحةُ للأجيالِ التي تَلَتْ ظهورَ هذا السدِّ في الجغرافيا المصريةِ .

تدورُ أحداثُ الروايةِ حولَ "جابر" العاملِ بمصنعِ "كيما" ، ورئيسِ لجنتهِ النقابيةِ الذي يتمُّ استدعاؤه على عَجَلٍ إلى مقرِّ وزارةِ الداخليةِ في القاهرةِ في الأجواءِ التي سَبَقَتْ هزيمةَ (يونيو ٦٧) ، ومن خلالِ تتابعِ الأحداثِ ، والذكرياتِ للبطلِ "جابر" ، وزوجتهِ

(عزيزة) تستحضر الكاتبة العديد من المخطات في تاريخ مصر وُصُولاً إلى تلك اللحظة الحرجة ، وما نتج عنها من هذا الاستدعاء المريب .!

الرواية قليلة الصفحات ، ومكتنفة الأحداث ، والشخصيات حتى إنَّ القارئ قد يتخيَّل أنه يقرأ قصة قصيرة طويلة في البداية لكنَّ بمرور الوقت سيدرك أنه أمام عملٍ روائيٍّ كامل الأركان ، وأنَّ العمل المصغوط المساحة كان أشبه بالمبارزة الفكرية الخاطفة ، والتي استخدمت تكتيكات القصة القصيرة من تكثيف ، وسرعة لجعل العمل بعيداً تماماً عن الملل ، والرتابة بالرُّغم من تناوله لفترات متعاقبة في تاريخ الوطن . فنجد أنَّ الكاتبة بدأت من مشهد النهاية حيثُ الاستدعاء القسريُّ إلى القاهرة مُثيراً لفضول القارئ لتتوالى الخطوات الروائية تبعاً لسرد مراحل تشكُّل شخصية (جابر) هذا الشاب المتمرد ابنُ (الإسكندرية) ، والذي تنوعت طبيعته بين الفهلوي السارق لمعسكرات الإنجليز إلى الجندي المتطوع في القوات البحرية إبَّان العدوان الثلاثي ، وانتقاله بعد ذلك إلى العمل في مصنع "كيما أسوان" واختلاطه بمجتمع العاملين في بناء السدِّ وُصُولاً إلى تقلُّده منصب رئيس اللجنة النقابية لعمالِ المصنع . كلُّ هذا التحوُّل الدرامي في الشخصية صاغته الكاتبة باحترافٍ من خلال زوجته (عزيزة) ، وما تعرَّضتْ له من أزمت اجتماعية بائسة فهي تحكي دائماً عن زوجها المسافر ، وعن مغامراته منذ زواجهما ، وكيف أنها تنقَّلت بين البلاد دون إرادةٍ منها فقط من أجل إرضاء أحلامه المتقلِّبة .

تناولت الرواية مجتمع عمال السدّ العالي بشكلٍ واقعيٍّ إنسانيٍّ بعيداً عن الملائكيّة التي صاغها إعلامُ الستينات عن هذا المجتمع فنجد أنّ هناك عمالاً قد جاءوا من كلّ حدبٍ ، وصوبٍ من مختلف المجتمعات إلى هذا المكان فقط بحثاً عن المرتبات المجزية ، وكيف أنّ بعضهم كان يُدمنُ مُخدّرَ المنشطات بإيعازٍ من الشركات الأجنبية المتعاقدّة مع الحكومة حتّى يتمكنوا من مواصلة العمل الشاقّ . كشفت الرواية أيضاً مجتمع النفاق السياسيّ الذي سادَ هذه الفترة في مشهّد زيارة الرئيس (جمال عبد الناصر) ، وضيّفه السوفيتي (خروتشوف) إلى مَوقِعِ بناءِ السدّ ، وصاغتِ الكاتبة بصنعةٍ واضحةٍ كيفَ كان يتمُّ جمعُ العمّالِ ، وإعطائهم صُورَ الرئيسِ الراحل ، وذلك بتنظيم اللجان النقابية التي ينتمي إليها (جابر) ، والذي بالرغم من جهوده المتفانية في الحشد والتعبئة الجماهيرية إلّا أنّ هذا لم يشفَعْ له عندَ النظامِ عندما وَشَى به أحدُ زملائه لصداقته لجموعة من الشباب الشيوعي ، والذين وصفهم رجلُ الأمن في "لاظوغي" بـ (البرابرة) في توصيفٍ عنصريٍّ محضٍ يعبُرُ عن عقليّته التي لا تخلو من الاحتقار لهؤلاء المواطنين المصريين .

جاءتِ اللهجةُ العاميّةُ في الرواية لتكونَ بمثابة بطلٍ منفردٍ للعمل الأدبيّ الدّسمِ ، ولقد تنوّعَ الحوارُ العاميُّ بين اللهجاتِ المصريةِ المتعددة فمثلاً نجدُ (جابر) يتحدثُ الّلكنةَ القاهريةَ المميّزةَ بكلماتها الجذّابةِ هو ، و(عزيزة) زوجته بينما نجدُ

(نحمده) ابنة مدينة (كوم أمبو) تتحدث اللكنة الصعيدية بمفرداتها الجميلة من أمثلة " الماسخة ، و حدانا ، و الخلجات ، و مليحة " ، وغيرها من الكلمات التي تنم عن التجربة الإنسانية العميقة للكاتب ، وإلمامها بطبيعة الخصوصية الثقافية للعديد من أنحاء الأقاليم المصرية المختلفة .

اعتمدت الرواية على الرمز في العديد من المواضع فنجد مثلاً أنَّ مولود (عزيزة) الأخير قد وُلِدَ في (أسوان) ميتاً ، ووصفتهُ الكاتبة بالمسوخ تعبيراً عن نتيجة متوقعة لهذا المجتمع الفاسد ، والذي للمصادفة وُلِدَ فيه هذا المسخ قبل ساعاتٍ من نكسة (يونيو ٦٧) ، و بذلك تؤكدُ الرواية أنَّ الهزيمة هي نتيجة حتمية كمخاض لهذا الواقع المشوه .!

جاءت الرمزية أيضاً في هذه الرحلة النيلية إلى أحد معابد نيل (أسوان) ، ومن خلال المقابلة الحوارية بين سرد المرشد السياحي الجاد (إبراهيم) لتاريخ مصر ، واحتلال "الهكسوس" ، وثورة الطبقات الدنيا على طبقة النبلاء جاء في المقابل السلوك السوقي لجابر والذي جعله يتهكم على ما كان يقوله المرشد وُصُولاً إلى قيامه بالتبول على الملأ أمام السائحين في صورة فجأة توضح طبيعة هذا المجتمع العمالي ، والذي شابهُ بعض العوار السلوكي ، والإنساني . في لفظة زكية ضمت الرواية مجموعة من الأغاني ، والمواويل التي كان يُنشدها عمال السد ، وعبرت عن تلك الصورة الواقعية للرواية حيث جاءت تحمل أوصافاً متفاخرة بالسد ، والزعيم الراحل حيث

عَبَّرَتْ عنه الكاتبةُ بأنَّها كلماتٌ عَفْوِيَّةٌ ، ومرتبلة (وهذا هو الخطابُ السائدُ) مثلاً في العديدِ من العبارات من أمثلة " ناصر يا اللي بنيت المجد.. كيما بتحيي ضيوف السد " ، وعَبَّرَتْ أيضاً بإعجابِ الواقفينَ لتحيةِ موكبِ الزعيمِ بجملةٍ " ياه الراجل له هيبه ربنا يحميه .. انا جسمي لسه مقشعر من ساعتها " ، و " بالله العظيم كان قلبي بيرفرف زى الطير جوه هدومي بالله العظيم كان حيقف " .

بينما ذكرتُ أيضاً مواويلَ أخرى تحملُ صورةً سلبيةً للمشروعِ بالمخالفةِ للواقعِ الدِّعائِيِّ للدولةِ وقتها ، وَمِنْ أمثلةِ ذلك " يا سد يا عالي يا واطي يا بن المرة الضاللية، أو آخر صبرك يا أيوب يا بو قيحه، تغمس العيش الشمسي في الملوحة ، العيشة ليش صعبة، عمرها ما كانت مليحة ، ووينك يا زرعة وبنك، وبنك يا ترعة وبنك وبنك غملا الصفيحة "

وفي القطار القشاش ،والذي وصفتهُ الروايةُ بالجسدِ الثعبانيّ وهو يخترقُ أقاليمَ مصر الجنوبيةِ في رحلةٍ طويلةٍ امتدَّتْ إلى ست عشرة ساعة قابلتُ (عزيزة) السيدةَ الجنوبيةَ الصعيديةَ (نحمده) ، ومن خلالِ الحِوَارِ الممتدِّ طوالَ الرحلةِ الثقيلةِ يتضحُ للقارئِ تناقضاتُ المجتمعِ المصريِّ بينَ التسامحِ والاستسلامِ المتمثِّلِ في (عزيزة) ابنةِ الإسكندريةِ ، والشدةِ ، والقسوةِ ، المستمدَّةِ من الصعيدِ ، والمتمثِّلِ في (نحمده) ابنةِ مدينةِ (كوم أمبو) .

جاءت رواية (رحلة القشاش) لتكون بمثابة لوحة فنيّة من الأدب الواقعيّ صاغت الكاتبة من خلالها مشهديّة بناء السدّ العالي بشكل واقعيّ إنسانيّ مختلف إلى حدّ ما عمّا توارثناه من خطابٍ دعائيّ ناصريّ وإنّ كانت الكاتبة أنصفتُ في صورة تلك الطفلة الرمز (نجاة) ابنة (جابر) الطالبة المجتهدة حيثُ وقفتُ في اهتمام تكتب ما يقوله المرشد السياحيّ (إبراهيم) ، وهو يحكي بفخرٍ عن تاريخ وطنه مؤكّدة أنّ رحلة القطار القشاش انتهت بالرُغم ما شابها من سلباتٍ بمولودٍ آخر نجيبٍ في صورة فتاةٍ ممتنةٍ لثورة يوليو غير ذلك المسخّ المولود مَيّتًا!

" من جِرابِ الكُنْفَر "

ومتوالية مُعَانَاةِ الفَّلَّاحِ المِصْرِيِّ



يعتبرُ الريفُ المصريُّ بعنصرَيْهِ "الدلتا والوادي" هو الرافدُ الرئيسيُّ لمصرَ القديمةِ

، والحديثةِ حيثُ كان التُّروُحُ السكائيُّ المستمرُّ لأهلهِ إلى المُدُنِ المركزيةِ القليلةِ على النيلِ، وفروعِهِ ؛هو التَّوَاةُ السكانيةُ لتلك الحَضائِرِ ؛ والتي تَمَدَّدَتْ باستمرارٍ على حسابِ تلك القرى المجاورةِ .

روايةُ "من جراب الكنغر " للكاتبِ القديرِ "أحمد محمد عبده" والصادرةُ عن دار نشر (ليفانيت) للدراسات الثقافية ، والنشر عام (2022) مثَلَتْ بشكلٍ نموذجيٍّ عمليةَ الهجرةِ المتواليةِ لفلاحي تلك القرى الريفيةِ بين أقاليمها المتجاورةِ ، فقد عبَّرَ الكاتبُ في مجموعةٍ من المتوالياتِ الروائيةِ القصيرةِ ، والمختلفةِ الأزمنةِ ؛ عن هذه الترحيلةِ القسريةِ ، والتي تظهرُ من خلال العملِ في صورةٍ إغريقيةٍ حتميةٍ يُشَبِّهُ فيها البطلُ "الحديدي " سيزيفَ الإغريقي ، والذي كان مقدَّرًا لَهُ الرحيلُ الدائمُ و واللامتناهي بسببِ الظلمِ والقهرِ والفقْرِ !

قسَمَ الكاتبُ حكاياته عن ريفِ الدلتا ، وبالتحديدِ زمامِ إقليمِ الشرقيةِ ؛ في صورةِ ثلاثِ كُتَلٍ متواليةٍ عبَّرَتْ في كُلِّ منها عن معاناةِ البطلِ (الفلاح الحديدي) ، والذي كان القاسمُ المشتركُ بين كل تلك المحكيَّاتِ والتي اتَّسَمَتْ بالكوميديا السوداء طَمَي تلك القرى ، والتي رزَحَ أهلُها تحتَ نيرِ قَهْرِ السُّلْطَةِ الغاشمةِ المُمَثَّلَةِ في درجاتٍ متفاوتةٍ و ضاغطةٍ فوقَ بعضها البعض ؛ بدأ من القمةِ الخديويةِ ووصولاً إلى عُمْدِ القُري والحُفَرِ ؛ وللغربةِ كانت القمةُ في صورةِ عبثيةٍ كاخديوي إسماعيل ، والذي يظهرُ

في معظم الأحيان بالساذج العاثر ، والذي يسعى لاهثاً وراء الجميلة (أوجيني)
و(العثملي) عاشق أكل البصل منتهياً بالسلطان (الصالح أيوب) ، والذي انتهى به
الحال بضباع جثمانه في قارب سلطاني في قلب النيل .!

تنوعت في المتواليّة ، و قصصها الأبطال والشخصيات ؛ و الحديدي هو تلك
الشخصيّة المركزيّة التي تدور حولها الأحداث والمواقف ؛ فنجده مرّةً هارباً من تسخير
أبنائه لحفر قناة(ديليسيس) ، والحديوي وهارباً مرّةً أخرى من (العثملي) عاشق
البصل ، و مرّةً يهرب من القرية ؛ خوفاً من بطش العمدة لتستمرّ متواليّة الهروب
الحتميّة من قريةٍ لأخرى حتى أصبح على حدّ وصف الكاتب بلا جذور ثابتة ؛ وعبر
الكاتب عن حال البطل بكل حيويّة ؛ عن طريق الاستعانة بالعديد من المواويل
الشعبية ، والأمثال ، والأقوال المأثورة ، والتي نجحت في تحقيق حالة المعاشيّة الكاملة
للقارئ للأحداث ، وتفصيلها المتعددة.

تناولت المتواليّة الريفَ بشكل (ميكروسكوبي) الدقّة و(بانورامي) الوصف في براعة تُنمُّ
عن دراية الكاتب ، وإلمامه بكافّة تفاصيل قُرى الدلتا فيحدثنا عن (الكنيف) أي

(المرحاض) ، وكيف حدّث التحول الثوري لإدخاله المنازل بدلاً من وجوده في
العراء ، وفي قصة (حالات وأحوال تل السامر) يتناول الكاتب أيضاً صراع الأجيال
داخل العائلة الواحدة ، وعلاقة زوجات الأبناء بكبار العائلة كما في قصة (عطر
العروسة) و كيفية تكوّن العائلات في القُرى ، ومركزيتهم في عمق الريف مشبّها إيّاهم

ببداية الخلق . طرح الكاتب العديد من النماذج والأمثلة لمتواليّة العائلات ، والتي تتناقل السلطة بينها جيلاً بعد جيل ؛ فيذكر مثلاً عائلة (أبو طاحون و أبو سفّاح و أبو خطوة) بينما للغربة نجد البطل (الفلاح الحديدي) يبحثُ لاحقاً عن تكوينِ سلطةٍ عائليةٍ له لكنّ يمنعه التّرحالُ الدائم والقهرُ عن تحقيقِ هذا الحلم العنيد!

طرحَت المتواليّة قضايًا سياسية، واجتماعية مختلفة فتناولتُ بدقّة تكوّن الملكيات الزراعية ، والتي وزعناها السلطة الخديوية على الموالين ، والمتحالّفين معها من كبار تلك القرى الريفية ؛ اشتبكتُ المتواليّة أيضاً مع التحالفِ الحكوميّ الخديويّ ، و سلطة العائلات والذي ضمّن لكليهما استقراراً عاش لعقودٍ على حسابِ ظلم وقهر الفلاحين من أهل تلك القرى .

جاء الكثير من العبارات داخل العمل لتعبّر عن الحالة الشعورية للرواية ، ومن أمثلة ذلك وصف الكاتب لرحلة الهروب الليلي للبطل خوفاً من العمدة في قوله " الليلُ هو نفقُ المضطّهد والمقهور إذا أراد أن ينفذاً بجلدهما " وقوله عن العائلات وتشكلها " فالعائلة في بلدنا لكي تكون أصيلةً ، ولا تكون دخيلةً لابدّ أن يتواتر عن شيوخها ، وعجائزها أمّا كانت نبناً شيطانياً مثل (الحلفاء والبوص والعاقول والنجيل وذيل القط) ليس لها " زُرّاع ولا تاريخُ زراعة " وغيرها الكثير والكثير من الجُمْلَة المصوغة بعناية فائقة لتصف حال القرية المصرية والتي للغربة تعيش هذه الحال حتى وقتنا هذا .

استهَلَّ الكاتبُ محمَّيَّتَهُ بإهداءٍ إلى أجداده ؛ الذين ورثَ عنهم كلَّ صفاتِهِم الجيِّدِ منها
و السيِّئِ ؛ ليعبِّرَ في تجرُّدٍ عن توارثِ الإنسانِ المصريِّ لكافةِ خبراتِ أجدادهِ من
الفلاحين في التحايُّلِ على السلطةِ الباطشةِ من أجلِ الصُّمودِ ، والبقاءِ حتى لو كانَ
ذلكَ على حسابِ الكثيرِ من القِيَمِ النبيلةِ ؛ و التي قد تستدعيهِ إلى التلُّونِ و
التكْيُفِ وأحياناً للهروبِ الكبيرِ ؛ نَجاةً بالنفسِ والأهلِ من هذا الخطرِ المُحْدِقِ.!

كانتْ كلماتُ المستشرقِ الفرنسي (بارتلم سانت هيلار) عن النيلِ بأنَّه هو السببُ
الوحيدُ للعبوديَّةِ السياسيَّةِ في مصرَ ، والتي صَدَّرَها الكاتبُ في ذكاءٍ في بدايةِ المتواليَّةِ
؛ معبِّرةً عن قَصْدِيَّتِهِ ؛ فالكتابُ الذي صاغَهُ في كُتَلٍ روائيةٍ مكثَّفةٍ مربوطَةٍ بخيطٍ رفيعٍ
؛ هي أقربُ لرحلةِ عبوديَّةِ الفلاحِ المصريِّ في عصرِ حُكْمِ أبناءِ (محمد علي) والذين
على جُثَثِهِمْ تمَّ بناءُ مصرَ الحديثةِ التي نعرفُها حاليًّا و من خلالِ العديدِ ، والعديدِ
من القصصِ المخبَّأةِ في جرابِ كنغرِ الزمنِ ؛ تمَّ إظهارُ ذلكِ الماضيِ المؤلمِ بكافَّةِ
تفاصيلِهِ ..!

بَعْدَ الْغُرُوبِ وَمَضَاتُ قَصَصِيَّةِ بَرَّائِحَةِ الْحَرْبِ



تُعَدُّ الحروبُ من أكثرِ المشاهدِ الإنسانيةِ قَسْوَةً حيثُ يتحوّلُ فيها النزاعُ البشريُّ لأعمقِ درجاتِهِ انحطاطاً حيثُ غريزةُ القتلِ ، والبقاءُ هيَ الهدفُ النهائيُّ ، والوحيدُ ، وللأسفِ الشديدِ فإنّها حتميةٌ بحتمةُ الصراعِ البشريِّ عَبْرَ التاريخِ ، ولذا كانَ الأدبُ من أكثرِ الأدواتِ تعبيراً عن هذهِ الحالةِ الفريدةِ من التحوّلِ البشريِّ إلى التموضُّعِ الحيوانيِّ الغرائزيِّ ، والذي يعجُّ بالكثيرِ ، والكثيرِ من الحكاياتِ ، و العِبَرِ المُجسَّدةِ لتلكِ الصورةِ المؤلمةِ التي يدفعُ ثمنَها الأبرياءُ من الجنودِ ، والمدنيينَ على حدِّ سواءِ .!

الجموعَةُ القصصيةُ للأدبيةِ السوريةِ (سهير مصطفى) الصادرةُ عن دارِ نشرِ (سوريانا عام ٢٠١٨ م) مثَلَتْ بشكلٍ غيرِ تقليديٍّ نموذجاً لأدبِ الحربِ عن طريقِ أدبِ القصةِ القصيرةِ جدّاً ، أو ما يُطلَقُ عليه (الوَمَضَات) ، والتي تناولتِ الكاتبةُ من خلالها الحربَ الدائرةَ في (سوريا) في ذلكِ الوقتِ بينِ قواتِ الجيشِ العربيِّ السوريِّ ، وميليشياتِ التكفيريينَ لتعصِفَ بالشعبِ السُّوريِّ ممَّا خَلَّفَتْهُ من دمارٍ شاملٍ ، وتهجيرٍ ، ولاجئينٍ ، وشهداءٍ تُركُوا جميعَهُم جرحاً غائراً يَقْطُرُ دَمًا من قلبِ هذهِ الدولةِ العربيّةِ العريقةِ .!

استخدمتِ الكاتبةُ أسلوبَ القصةِ القصيرةِ جدّاً ، أو الومضةِ لتعبّرَ عن حالاتٍ عدّةٍ لَنْ تَتَسَّعَ لها القصصُ القصيرةُ التقليديّةُ قليلةُ العددِ ، فالمآسي كثيرةٌ ، والأمثلةُ

الدَّالَّةُ عن وطأة وثقل الحربِ غائرةً في وجدانِ الكاتبة ؛ فتتوَعَّتْ موضوعاتُ القصصِ من قصصِ تحكي معاناةَ اللاجئينِ مثل قصة "غَيِّرة" ، وقصة "مَتَاع" ، و "حُبٌّ قديمٌ" ، وقصصٌ تحكي ألمَ فراقِ الأحبةِ شهداءِ الحربِ من أمّهاتٍ ، وزوجاتٍ مُكَلِّمَةٍ لفقدهنَّ أبناءَهُنَّ ، وأزواجهنَّ مثل قصة " غَيِّرة " ، و " العناق الأخير " ، و " منومٌ " أما باقي القصصِ فقد تنوَعَتْ بينَ معاناةِ المرأةِ النفسيةِ في المرضِ كقصة "لعنة" ، وقصصِ أخرى تحملُ نقدًا لاذعًا للمناخِ السَّائدِ وقتَها ، وكيفَ يستفيدُ القادةُ من الحروبِ في زيادةِ شعبيَّتِهِمْ على حسابِ أرواحِ الشبابِ المزهقةِ في تلكِ الحربِ التي لا ناقةَ لهم فيها ، ولا جَمَل .

ومنْ أكثرِ الملاحظاتِ التي تسترعي الانتباهَ في تلكَ المجموعةِ عناوينُ قصصِها التي اعتمدتْ على المُفارَقةِ بينَ طبيعةِ العُنوانِ المرحّةِ ، أو المضادّةِ لمحتوى ، ومضمونِ القصصِ فمثلاً قصةُ "وليمة" تحكي عن معاناةٍ لاجئٍ حربٍ يتضوَّرُ جوعاً بحثاً عن بقايا طعامٍ بجوارِ بيتِهِ المهْدُومِ ، وقصةُ "انتقام" التي تتناولُ واقعةَ قتلٍ يتبيَّنُ في النهايةِ أنَّها مشهَدٌ في فيلمِ سينمائي ، وبالإضافةِ إلى العناوينِ فقد حملتْ القصصُ أيضاً أسلوباً واضحاً في مفاجأةِ القارئِ بنهايةِ القصةِ المختلفةِ تماماً عن سياقِها فمثلاً قصة "عند الغروب" تحكي عن امرأةٍ تخرجُ مع عائلَتِها في نُزهَةٍ ، وهَمٌّ في قِمَّةِ السعادةِ ليتبيَّنَ في النهايةِ أنَّ ذلكَ كُلَّهُ حُلْمٌ زائفٌ تتذكَّرُ بهِ الزوجةُ المكَلِّمةُ زوجها الشهيدَ . هذا الأسلوبُ المعتمدُ على المفارقةِ ، والمفاجأةِ جعلَ الومضاتِ سريعةً ، ورشيقةً

، وممتعةً فنهايتها دائماً صادمةً للقارئ الذي لا يتوقعُ من أين ستأتي له المفاجأةُ ممَّا شدَّ انتباهه ، وأثَّارَ عقله .

ظهرَ تأثرُ الكاتبةِ بعباراتِ القرآنِ الكريمِ في الألفاظِ المستخدمةِ في المجموعةِ القصصيةِ ، والتي أجادتْ توظيفَها في العديدِ من المواضعِ داخلِ بعضِ الومضاتِ فمثلاً (زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا) في قصة "متاع" ، وعبارة (تَتَقَلَّبُ ذَاتَ الْيَمِينِ وَ ذَاتَ الشِّمَالِ) ، واستخدامُ تلكِ الكلماتِ ، والمفرداتِ في قصة "حُرقة قلب" عبَّرَ عن ثقافةٍ دينيةٍ للمؤلفةِ وظَفَّفتُها بشكلٍ جيِّدٍ للغايةِ داخلَ القصصِ المتنوعةِ .

تَمَيَّزَتِ المجموعةُ القصصيةُ بروحِ السخطِ العارمِ على الحربِ ، وكيفَ أنَّها تحملُ في طياتها مهازلَ كثيرةً ، ومآسيَ إنسانيةٍ فتحكي إحدى القصصِ عن جُنْدِيٍّ تنعیه والدتهُ بكلِّ حُرقةٍ حينَ عَلِمَتْ أَنَّهُ مدفونٌ بلا رأسٍ بعدَ أَنْ تَمَّ قتلُهُ بقطعِ رقبتهِ ، و قصةً أخرى تحكي عن جنديٍّ شهيدٍ يتمُّ تكريمُهُ من قِبَلِ الجيشِ بينما زملاؤه يعلمونَ جيداً أَنَّهُ كَانَ خائناً لهم ، وتمَّ قتلُهُم له لذلكِ السببِ ، وغيرها الكثيرُ من القصصِ ممَّا جعلَ المجموعةَ القصصيةَ تحملُ تصويراً قاسياً للحياةِ في ظلِّ حربٍ أهليةٍ قضتْ على الأخضرِ ، واليابسِ ، وجعلتْ من المواطنينِ ضحايا دونَ ذَنْبٍ لهم أو اختيار .!

جاءَ غُلافُ المجموعةِ القصصيةِ للفنان (جمال الأبطح) معبِّراً عن محتوى المجموعةِ حيثُ ظهرتْ فيه امرأةٌ ترتدي شالاً على كتفيها وتنظرُ إلى الأسفلِ بشكلٍ يعبرُ عن درجةٍ

كبيرة من الحزن المشوب بالتأمل ، وتلك الحالة تعبر عن مضمون المجموعة ، التي تتناول قصص تحكي معاناة النساء في الحرب حيث لا يدفع ثمنها الرجال فقط ، ولكن الجميع يعانون بطرق مختلفة. وبرأيي فإن كتابة الومضة القصصية ، والذي يعتبره البعض تقليلاً من شأن القصّة القصيرة هو بمثابة تطوّر متوقّع ، ومفهوم لأدب القصّة القصيرة هدفه الرئيسي مواكبة تسارع وتيرة العصر ، وقد جاءت مجموعة "بعد الغروب" القصصية لتمثّل نموذجاً للتوظيف المثالي لهذا النوع الأدبيّ المستحدث في أدب الحروب ، والذي تمكّنت الكاتبة من خلاله من التعبير عن أوجاع وطنها بشكل بالغ الصّدق ، والواقعيّة .

خَوَاطِرُ فِكْرِيَّةٍ "زوربا اليوناني"

وُثْنَائِيَّةُ الْمَعْرِفَةِ ، وَالْفِطْرَةِ فِي الْوَاقِعِ الْإِنْسَانِيِّ الْمُعَاصِرِ



تُعَدُّ رواية "زوربا اليوناني" للكاتب اليونانيِّ الراحل "نيكوس كازانتزاكيس" من أيقونات الأدب العالميِّ ، والتي تناولت ثنائيةً إنسانيةً عميقةً تتناول قيمةً ، ومَغزى الحياة بشكلٍ فلسفيٍّ بسيطٍ . تدور أحداثُ الروايةِ حولَ علاقةٍ صداقةٍ تنشأ بين رجلٍ مثقفٍ ، اسمه (باسيل) ، غارقٍ في الكتبِ يلتقي مصادفةً برجلٍ أُمِّيٍّ مَدْرَسَتُهُ الوحيدةُ هي الحياةُ ، وتجاربُهُ فيها ليتعلَّم هذا المثقفُ الذي ورثَ مالاً من أبيه الكثير من "زوربا" عَنِ الحياةِ ، وَعَنْ حُبِّهَا ، وَفَنَ عَيْشِهَا ، وذلك أثناءَ سفرهم إلى جزيرة (كريت اليونانية) ، والتي يعبرُ الكاتبُ من خلالِ أهلها عن الغرائزِ البشريَّةِ في حالتِها الأولىَّةِ الصِّرْفَةِ. الثنائيةُ التي بنى الكاتبُ عليها الروايةَ هي ثنائيةٌ ذاتُ قطبينِ . أوَّلُ هذينِ القطبينِ هو المثقفُ صاحبُ المعرفةِ المبنيةِ على الثقافةِ ، والاطِّلاعِ ، والتفكيرِ المادِّي ، والتي تورثُ صاحبها عبءَ المسؤوليةِ الفكريةِ . حيثُ تكونُ تلكَ المعرفةُ بمثابةِ نعمةٍ على صاحبها ، ويصيرُ غيرَ قادرٍ على الاستمتاعِ بالحياةِ في صورتِها الفطريةِ المبهجةِ ، والقطبُ الثاني هو الأُمِّيُّ صاحبُ المعرفةِ الفطريةِ البنائيةِ

، والمكتسبةِ من الحياةِ ، والتجاربِ الإنسانيةِ ، والتي تبتعدُ تماماً عن الثقافةِ

، والمعارفِ ، ولذا فهذا الشخصُ يصبحُ غيرَ مُبالٍ لصعابِ الحياةِ ، ويتعاملُ معها بمنطقِ التَّقبُّلِ و، التَّكيفِ النَّامِ مع الاستمتاعِ النَّامِ بكلِّ لحظةٍ في تلكَ الحياةِ دونَ اعتبارٍ لأيِّ قيودٍ ، أو حدودٍ قد تُساهمُ في تحجيمِ هذهِ الرُّوحِ المنطلقةِ في تلكَ الحياةِ الصَّاخبةِ و، يصبحُ الرقصُ هو المعبرُ عن تلكَ الحالةِ البديعةِ من الاحتفاءِ البالغِ

بقيمة الحياة لينتصر الكاتب بتلك الرقصة اليونانية "الفلكلورية" لروح الإنسان الحقيقية الأصيلة ، والتي أثقلتها المعرفة البشرية المعاصرة بالهموم ، والأعباء . رواية "زوربا اليوناني" تنتمي إلى خطٍ فكريٍّ بدأه الكاتب الإنجليزي الأشهر "تشارلز ديكنز" في روايته الشهيرة "أوقات صعبة" ، والتي تناول فيها الكاتب حال الإنسان في عصر الثورة الصناعية في القرن التاسع عشر ، وكيف حوّلت تلك الثورة الصناعية المعرفة حياة أسرة متوسطة إلى ما يشبه الجحيم بسبب تبني والدهم لمبدأ المعرفة

، والحقائق ، وتحطمت تلك الأسرة ، ولا تقوى على مواجهة صغاب الحياة بالرغم من المعرفة ، والاقتدار المادّي بينما تحيا أسرة أخرى حياة إنسانية مؤمنة بحب الحياة

، والطبيعة بالرغم من جهلهم المعرفي ، وضيق حالهم المادّي . نفس هذا الخط الفكري امتد بشكلٍ ما إلى الأدب العربي ، والمصري في أكثر من عمل أدبيٍّ منها على سبيل المثال رواية "مالك الحزين" للكاتب المصري "إبراهيم أصلان" ، والتي تناولت ثنائية المثقف الحزين ، ومجرب الحياة المبتهج . حيث تناول كيف أنّ رجلاً ضريباً متقدماً في العمر متكيف مع الحياة ، ويحاول الاستمتاع بكل ما بها بشكل عَفَوِيٍّ ، ومندفع أحياناً بالرغم من عجزه بينما المثقف المبصر تتناقل عليه الهموم

، ولا يستطيع التّكيف مع واقعِهِ ، ومجتمعِهِ ، ويتحوّل حَيُّهُ الفقير الذي يقطنهُ هو ووالدُهُ الضريب ، وجدَّتُهُ سِجْنًا ، ويُصْبِحُ حلمُهُ الأوحْد هو السفر إلى الخارج

، والاعتزَابِ ، ويصْبُحُ والدُهُ الضَّرِيرُ أَقْدَرَ في النِّهَايَةِ على التَّعَايُشِ بِبَهْجَةٍ ، ووَاقِعِيَّةٍ
مع هذا المَنَاخِ المِضْطَرِبِ ، والوَاقِعِ الصَّعْبِ في ذَلِكَ الحَيِّ الشَّعْبِيِّ ، وفي عَمَلٍ
مِصْرِيِّ آخِرٍ لَكُنْ هَذِهِ المَرَّةَ عَمَلٌ سِينِمَائِيٌّ كَانَتْ قِصَّةُ فِيلِمٍ "آه يَا بِلْدَ آه..!"
لِلْمُؤَلِّفِ (سَعْدُ الدِّينِ وَهْبَةُ) الَّذِي اسْتَعَانَ بِنَفْسِ الثَّنَائِيَّةِ السَّابِقَةِ ، وَلَكِنْ فِي إِطَارِ
إِنْسَانِيٍّ ذِي غُلَافٍ سِيَاسِيٍّ . حَيْثُ يَعْتَمِدُ الكَاتِبُ عَلَى طَرَحِ فِكْرَتِهِ مَرْتَكِزًا عَلَى ثَنَائِيٍّ
: المَثَقَفِ (الَّذِي يَعودُ إِلَى قَرْيَةٍ والدِهِ فِي "الْبِرْلُس" عَزَبَةُ البَاشَا لِسَبِّعِ أَرْضِ والدِهِ)

، وَأَيُّوبُ (ابْنُ القَرْيَةِ المَقَاوِمِ الأَسْبَقِ ، والعَابَثِ اللَّاهِي فِي الوَقْتِ الرَّاهِنِ) . مِثْلُ
المَثَقَفِ (مَجْدِي) الشَّبَابِ المِصْرِيِّ اللَّيَّاسِ ، وَالَّذِي لَمْ تَسْعِفْهُ مَعْرِفَتُهُ لِلتَّعَامُلِ مَعَ الوَاقِعِ
. بَيْنَمَا مِثْلُ (أَيُّوبُ) الجِيلِ الَّذِي فَشَلَ فِي تَغْيِيرِ وَاقِعِهِ فِي السَّابِقِ فَأَصْبَحَ يَتَصَالَحُ مَعَ
الحَيَاةِ ، والوَاقِعِ فِي صُورَةِ اللَّهِوِ ، والعَبَثِ لِيَجْتَمَعَ القُطْبَانِ فِي النِّهَايَةِ لِمَقَاوِمَةِ الظُّلْمِ
الَّذِي يَمَارِسُهُ كَبِيرُ القَرْيَةِ ، وَهُنَا تَتَّضِحُ تِلْكَ الإِضَافَةُ السِّيَاسِيَّةُ لِلْكَاتِبِ ، وَالتِّي جَمَعَ
فِيهَا الإِنْسَانِيَّ السِّيَاسِيَّ. فِي النِّهَايَةِ . إِنَّ ثَنَائِيَّةَ "زُورْبَا اليُونَانِي" لِلْكَاتِبِ اليُونَانِيِّ
الرَّاحِلِ "نِيكُوس كَارَانْتَزَاكِيْس" هِيَ ثَنَائِيَّةٌ أَدْبِيَّةٌ عَمِيقَةٌ ، وَمَتَكَرَّرَةٌ لِلوَاقِعِ الإِنْسَانِيِّ
المُعَاصِرِ الَّذِي يَتَنَازَعُ فِيهِ البَشَرُ بَيْنَ ثِقَلٍ وَعِبَاءٍ مَعْرِفَةٍ إِنْسَانِيَّةٍ مِتْرَايِدَةٍ تَجْعَلُ حَيَاةَ
البَشَرِ أَكْثَرَ شَقَاءً وَبُؤْسًا ، وَبَيْنَ أُسْلُوبِ حَيَاةٍ فِطْرِيٍّ قَرِيبٍ إِلَى حَقِيقَةِ الحَيَاةِ ، وَبَعِيدٍ
كُلِّ البُعْدِ عَنِ تَعْقِيدَاتِهَا ، وَقِيُودِهَا ، وَهَمْومِهَا .

(قِصَّة "شُعَاعُ الْعُيُونِ" للأستاذ /خالد جودة ، والحروبُ المائية في المستقبل)

التغيُّراتُ المناخيةُ التي يُعاني منها عالمنا بسببِ الانبعاثِ الحراريِّ غيرِ المُسيطرِ عليه . أدَّتْ بشكلٍ مطَّردٍ إلى حالةٍ فقرٍ مائيٍّ تُعاني منه الشعوبُ العربيةُ خاصَّةً تلك الشعوب ذاتِ الكثافة السكانية الضخمة . حيثُ يتضاءلُ نصيبُ الفردِ من المياه لتبدلاً حالةِ المعاناةِ الإنسانيةِ ، وما يتبعها من أزماتٍ غذائيةٍ ، ونقصٍ حادٍّ في الرُّقعةِ الزراعيةِ ... وللأسفِ الشديدِ تُعدُّ مصرُ مِنَ الدُّولِ المرشحةِ لهذا السيناريو المرعبِ بسببِ الزيادةِ السكانيةِ التي لا تتوازى مع حصَّتينا المائيةِ من نهرِ النيلِ حيثُ ستتناقصُ تلكِ الحصَّةُ بسببِ بناءِ دولِ المنبعِ للعديدِ من السُّدودِ لحجزِ المياهِ حتى تتواكبَ مع احتياجاتهم بالرَّغمِ من توافرِ المصادرِ المائيةِ بكثرةٍ في تلكِ الدولة . تعتبر القصة القصيرة "شعاع العيون" للكاتب (خالد جودة) ، والفائزة بالمركز الأولِ مكرراً في مسابقة (صلاح هلال الأدبية 2022م) أحد الأعمال الأدبية القليلة ، وتكاد تكونُ أوَّلها ، والتي ناقشتُ حروبَ المياهِ المصريةِ المستقبليةِ حيثُ ستضطُرُّ الدولةُ المصريةُ إلى القتالِ من أجلِ مصالحها المائيةِ . تدورُ أحداثُ القصةِ في المستقبلِ في إطارٍ من الخيالِ العلميِّ حولَ جنديٍّ يقفُ وحيداً في "دُشمةٍ" بجوارِ صديقه الجنديِّ الشهيدِ ليحميَ موقعه حولَ البحيرةِ التي تحاولُ دولةٌ غازيةٌ السيطرةَ عليها للمرةِ الثانيةِ بعدَ تحريرها على أيديِ قواتِ الجيشِ المصريِّ . لبيداً حواراً ذاتيّاً بينَ الجنديِّ

، ونفسه ليناقدش فيه مهمته ، ومشاعره ، و أوجاعه .!

كانت أجواء الخيال العلمي غالبية على القصة في العديد من المواضيع . من أمثلة ذلك الهجمة "السيبرانية" ، والسترات الطائرة ، ونظارات الواقع المعزز

، و"الروبوتات" الآلية الغازية ، ومع ذلك أكّد الكاتب على أهمية العنصر البشري في العمليات القتالية في المناورة ، وفي حالات تعطل "التكنولوجيا" الحديثة .

فالبخيرة التي يدور حولها الصراع تعمّد الكاتب تجهيلها مع اسم العدو المخترق للهدنة الأمية . بالرغم أن سياق الأحداث داخل القصة يُعبّر تقريباً عن هذا العدو المكوّن من فصائل متشرذمة ، والبحيرة الهامة لوطننا حسب تعبيرات الكاتب . جاء العنوان (شعاع العيون) ليكون ملفتاً . فالقارئ لن يستطع التنبؤ بمحتوى القصة القصيرة ، أو مضمونها الحربي ، ولكن منذ البداية كشف المؤلف عن معنى عنوانه فوصّفه بأنّه شعاع عين المقاتل المصري ، وإن لم نعرف إن كان هذا الشعاع هو الرؤية العادية أم جهاز حديث لكشف العدو .

كان الحوار الدائر من طرف واحد مع زميله الجندي المقبور مُلفتاً ، ومستحدثاً فالجندي المقاتل يحاور صديقه الجندي الشهيد ، ويفرغ معه أحزانه في صورة بديعة من الهمس . حتى لو كان ذلك دون ردّ متوقّع . ليُوضّح هذا المشهد حجم المعاناة الإنسانية للجندي المقاتل !.

جاءت الذكريات أيضاً لتكون حافزاً للجندي الوحيد أثناء انتظاره لدعم القيادة

، وعودة عمل أسلحته الحديثة . فتذكر والدته ، وحنانها، وتذكر أجداده من المحاربين
القدّامى في حروب مصر عبّر العصور القديمة . لينتهي المشهد بذكر كلمة السلام
التي لم يحترمها العدو الغاصب المكوّن من قبائل متشرذمة لتوضّح القصة القصيرة في
النهاية أنّ السلام كلمة كبيرة لا تلتزم بها هذه الصّباغ البشرية . ليؤكد الكاتب
المُحضّر أنّ السلام مع عدوّ غير شريف هو سلام مع الأوهام . كما وصفه الكاتب
، والمفكّر الفلسطينيّ الراحل (إدوارد سعيد) .

ضَرْيُحُ الشَّيْخِ "عِيدُ فَاؤُوسَ" مَجْمُوعَةُ قِصَصِيَّةِ بَرْوَحِ الْجَنُوبِ



لطالما عانى أدب الجنوب المصري ، والأقاليم بوجه عام من حالة التهميش ، و
عدم تسليط الضوء الذي يستحقه هذا النوع من الأدب الذي ينبع من عمق البيئة
الاجتماعية الجنوبية المصرية ، ويناقش بعين ناقدة ، ومتأملية بيئة الصعيد الحسنة بعيداً
عن تلك القوالب الفنية الجامدة ، والتي تتناول الصعيد بشكل سطحي نمطي لا يعبر
عن مجتمعاته ، وهمومه .

قرأت بشغف المجموعة القصصية الصادرة عن (الهيئة المصرية العامة للكتاب) لمؤلفها
الأديب الجنوبي الكبير المحامي " حشمت يوسف " ابن مدينة الأقصر تلك المدينة
ذات الخصوصية في صعيد مصر ، وأشد ما لفت انتباهي هو اختيار الكاتب لعنوان
مجموعته وهو "ضريح الشيخ عيد فانوس" . فالعنوان يحمل قدراً كبيراً من الإثارة .
فكثيراً كان تناول الأدباء لفكرة الأضرحة ، والأولياء سلبياً بشكل كبير ، ولكن
عندما قرأت تلك القصة داخل المجموعة فوجئت بالتناول الإيجابي لفكرة الضريح
على غير المتوقع .

جعل الكاتب من الشيخ (عيد) هذا الشخص الذي هبط على تلك القرية بشكل
مجهول نقطة التقاء لأهل القرية من مسلمين ، وأقباط ، وكان هذا الضريح لهذا
الشيخ بمثابة مبنى الوحدة الوطنية في القرية المصرية حيث ناقش الكاتب بحنكة
، ودون أن يشعر القارئ كيف يؤثر الدين في سلوك المصريين من البسطاء ، وكيف

يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ هَذَا الْوَلِيُّ الصَّالِحُ نَقْطَةً تَوَافَقِي جَامِعَةً لِأَبْنَاءِ الْقَرْيَةِ مِنْ عُنْصُرِي الْأُمَّةِ

تَنَاولَ الْكَاتِبُ بِشَكْلِ فِلْسَافِي فِكْرَةَ الْعِلَاقَةِ الْأَبَدِيَّةِ بَيْنَ الْإِنْسَانِ ، وَالشَّيْطَانِ فِي قِصَّتَيْهِ "شَكَايَةِ .. الْأُولَى ، وَالثَّانِيَةِ" . فِي الشَّكَايَةِ الْأُولَى عَبَّرَ الْكَاتِبُ بِبِرَاعَةٍ عَنِ بَيْتَةِ الْقَرْيَةِ الْأَقْصَرِيَّةِ ، وَنَاقَشَ فِكْرَةَ إِغْوَاءِ الْإِنْسَانِ ، وَكَيْفَ أَنَّ الْإِغْوَاءَ ، وَالْوُقُوعَ فِي الْخَطِيئَةِ هُوَ عَمَلٌ بَشَرِيٌّ صَرَفٌ نَتِيجَةُ ظُرُوفٍ ، وَضُغُوطٍ مَجْتَمَعِيَّةٍ لَحْظِيَّةٍ ، وَأَنَّ لَا نَعْلَقُ أَخْطَاءَنَا ، وَخَطَايَانَا عَلَى شِمَاعَةِ الْغَوَايَةِ الشَّيْطَانِيَّةِ . يُنَاقِشُ الْكَاتِبُ فِكْرَتَهُ تِلْكَ بِتَوْسُّعٍ فِي شَكَايَتِهِ الثَّانِيَةِ لِتَبْضِيحٍ لِلْقَارِئِ أَنَّ الشَّكَايَةَ فِي أُسَاسِهَا هِيَ رُؤْيَا الْكَاتِبِ نَفْسِهِ لِثَنَائِيٍّ "جَدَلِيَّةِ الْإِنْسَانِ ، وَالشَّيْطَانِ "فَعَبَّرَ مِنْ خِلَالِ كَلِمَاتِهِ أَنَّ الْإِغْوَاءَ لَا يَصْنُمُدُ أَمَامَ الْوَعْيِ ، وَالثَّقَافَةِ .

وَفِي قِصَّتَيْهِ "أَدْعُو لَوَالِدِكُمْ بِالرَّحْمَةِ" ، وَ" مَا جُعِلَ هَذَا لِهَذَا " كَانَ بَطْلُ الْعَمَلَيْنِ نَفْسُ الشَّخْصِ " أَمِينُ النَّصِّ " هَذَا السَّكَّيرُ الَّذِي دَائِمًا يَحْتَاجُهُ الشَّيْخُ لِتَنْفِيذِ مَهْمَةٍ مَا ، وَهُنَا يَكْمُنُ التَّنَاقُضُ ، وَالْقَضِيَّةُ الشَّائِكَةُ الَّتِي يَتَنَاولُهَا الْكَاتِبُ . حَيْثُ إِنَّ الْعِلَاقَةَ بَيْنَ الطَّالِحِ ، وَالصَّالِحِ حَتْمِيَّةٌ ، وَلَا يُمْكِنُ عَزْلُ كُلِّ مِنْهُمَا عَنِ الْآخَرِ ؛ فَكُلُّ مُيَسَّرٍ لِمَا خُلِقَ لَهُ .

إِنْتَقَلَ الْكَاتِبُ نَقْلَةً فِكْرِيَّةً نَوْعِيَّةً عِنْدَمَا تَنَاولَ فِي قِصَّتِهِ الْعَمِيقَةِ "الْأَعْوَرُ وَالْكَحَالُ" شُعُورَ مَصَابِي حَرْبِ الْخَلِيجِ ، وَمَا يَمُرُّونَ بِهِ مِنْ ضُغُوطٍ نَفْسِيَّةٍ مِنْ خِلَالِ فِكْرَةِ زَرْعِ

قَرْنِيَّةٌ جَنْدِيٍّ مُتَوَفَّى لآخر مصابٍ . لبيدًا هذا المصابُ في رؤية كلِّ ما مرَّ بالمتوفَّى من جحيمِ الحربِ ، وكان التناولُ عميقًا ، وبديعًا ومستحدثًا بشكلٍ كبيرٍ .

عَبَّرَ الكاتبُ عن نفسه ، وعائلته ، وهو يتناولُ أحدَ أفرادِ عائلته في قصته "زهورٌ مبهِجَةٌ إلى ياسمين" . حيثُ عَبَّرَ الكاتبُ بشكلٍ يَمْلُؤُهُ العرفانُ ، والحبُّ عن فرحته بقدوم تلك المولودة الجديدة . التي أصبحت طبيبةً فيما بعدُ ، والتي كانت فرحتُها بها امتدادًا لحبه العميق لجدِّها ، وعمِّه في نفس الوقتِ ليدكرَ في القصة تفاصيلَ ذكرياتٍ كثيرةٍ تعبَّرُ عن مدى تقديره ، وامتنانه ، وحبه لهذا العمِّ الراحل .

إنَّ المجموعة القصصية تحوي بين دفتيها أعمالاً فنيةً ناضجةً تُعبِّرُ بدقة ، ووعيٍ

، وموضعيةٍ عن واقعٍ جنوبيٍّ حيٍّ في إطارٍ فكريٍّ فلسفيٍّ ، ونقديٍّ يجعلنا ندركُ أنَّ الصعيدَ لا يزالُ يمتلئُ بالمواهبِ ، والقاماتِ الفنيةِ الجليلةِ التي تستحقُّ التقديرَ ، وتسليطَ الضوءِ على مُنتجها الفكريِّ .

عِنْدَمَا يَتَّحِدُ الْأَدَبُ وَالْعِلْمُ



سلسلة
الأخف الحليمية
45

حكيم عيون

باقعة زهور من بستان
حكمة طب العيون

د. حسام الزميلي

كالعادة يُضحي العلم النظريُّ البحثَ من العقباتِ الكبيرة التي تواجهُ كلَّ أديبٍ يحاولُ أن يشرحَ هذا النوعَ من العلومِ في صيغةٍ سلسةٍ على القارئِ ، وفي قالبٍ أدبيٍّ يستطيعُ أن يصلَ إلى مُستوى القارئِ غيرِ المُتخصِّصِ في هذا النوعِ من العلومِ ، والتي أصبحتْ معرفتها فريضةً واجبةً بما نُواجهُها حاليًا من ثورةٍ "تكنولوجيةٍ" أشبه بتسونامي جارٍ لا يمكنُ تجاهلهُ أو التَّمَلُّصُ من فَهْمِ أبعادهِ ، ومتطلباته .

من هؤلاءِ الأدباءِ المصريين ، والعربِ الذين استطاعوا عن جِدَارَةٍ تبسيطِ العلومِ الطبيَّةِ المُعقَّدةِ في قالبٍ أدبيٍّ راقٍ مُستَساعٍ للقارئِ العربيِّ . الأستاذ الجامعيّ (أ.د. حسام الزميلي " أستاذ طبِّ ، وجراحةِ العَيْنِ كَليَّةِ طبِّ المنيا ، ومؤسسُ جمعيةِ أدبِ الخيالِ العلميِّ المصريِّ) ، والذي حَمَلَ على عاتقه مسئوليةَ تبسيطِ علمِ طبِّ ، وجراحةِ العَيْنِ - الصَّعْبِ في حَدِّ ذاته حتَّى على الأطباءِ من خارجِ التخصصِ - فَجَعَلَهُ سهلًا بسيطًا ، ومزوجًا بقالبٍ أدبيٍّ ينمُّ عن طبيعةٍ أدبيةٍ أصيلةٍ لكاتبينا المتمكِّنين .

د.(حسام الزميلي) له العديدُ من المؤلفاتِ الأدبيةِ التي تناولتْ موضوعاتٍ علميةٍ بحثيةٍ . منها ، وآخرها الكتابُ الذي طالعتهُ مؤخرًا بعنوانِ "حكيم عيون" ، والصادر عن (الهيئة العامة لقصور الثقافة) فللوهلة الأولى تكتشفُ أنَّ هذا الكتابَ الذي يبلغُ عددُ صفحاته (مائةً وثمانينَ) صفحةً هو موجزٌ بليغٌ ، وعميقٌ لرحلةٍ

الإنسانية مع علم طبّ ، وجراحة العين على مَرِّ العصور ، وكيف تَطَوَّرَ هذا العلمُ بشكلٍ متدرّجٍ حتى بدأ قفزاته الواثقة في منتصفِ القرنِ الماضي .

يشملُ الكتابُ خمسةَ فصولٍ . تتناولُ أهمَّ المحطاتِ العلميةِ في تاريخِ ، وتطوُّرِ طبِّ

، وجراحةِ العينِ . فيبدأُ الكتابُ بمقدمتهِ التي توضِّحُ قصدهُ . يليها شرحٌ مبسّطٌ لتشريحِ العينِ ، ووظيفتها ؛ ثمَّ ينتقلُ بعدَ ذلكَ في فصولهِ التاليةِ إلى تناولِ الأمراضِ الرئيسيةِ ، والتي تصيبُ العينَ من المياهِ البيضاءِ ، والمياهِ الزرقاءِ ، و "الليزك"

، وتصحيحِ النَّظَرِ، وفصلٌ عن زهورٍ متنوّعةٍ في بستانِ طبِّ العيونِ ، وأخيرًا يَخْتَتِمُ الكتابُ مجموعةً من الأسئلةِ ، والأجوبةِ التي تُنهي اللُغَطَ الذي يُحِبُّ بتخصّصِ العيونِ ، ويؤدّي إلى ارتباكٍ بينَ البُسطاءِ من المَرْضَى. لينتهي الكتابُ أخيرًا بالمراجعِ التي وَضَعَهَا الكَاتِبُ في النهايةِ لِمَا ذَكَرَهُ داخلَ الكتابِ تأكيدًا على طبيعتهِ الأكاديميةِ الواضحةِ.

إنَّ أَكْثَرَ ما استرعى انتباهي في الكتابِ هو هذا العددُ الكبيرُ من الصُّوَرِ التوضيحيةِ ، والتي بلغت (أربعةً وثلاثينَ) شكلًا توضيحيًا ، وضُمَّتِ العديدُ من المخطوطاتِ القديمةِ التي تناولتْ طبَّ العُيُونِ على مَرِّ التَّاريخِ.

ومما بَهَّرَنِي أيضًا مزواجهُ الكَاتِبِ بينَ العلمِ ، والفنِّ . حيثُ تناولَ كَيْفِيَّةَ تأثيرِ تلكِ الأمراضِ على بعضِ كبارِ الفنانينَ . من أمثلةِ الفنانِ الفرنسي "كلود مونيه"، والذي

خضع لعملية إزالة مياه بيضاء دون زرع عدسة ، وكيف أثر ذلك على أعماله الفنية التالية ، وتناول أيضاً علاقة الموسيقى بالعين وأمراضها .

لم ينس الكاتب أن يتناول أحدث ما وصل إليه العلم في التخصص . حيث تناول فكرة العلاج الجيني للمياه الزرقاء ، وكيف ستصبح أملاً للكثيرين للشفاء من هذا المرض السارق للنظر .

إن كتاب "حكيم عيون" هو كتاب لطبيب حكيم جمع بين العلم المخض ، والأدب السلس بصورة بديعة متمكنة .

وَأَتَمَنَّى مِنْ كَافَّةِ الْعُلَمَاءِ الْعَرَبِ فِي كَافَّةِ التَّخَصُّصَاتِ الْعِلْمِيَّةِ أَنْ يَقُومُوا بِنَفْسِ الْمَحَاوَلَةِ النَّاجِحَةِ ، وَالَّتِي تَهْدَفُ إِلَى نَشْرِ الْعِلْمِ بَيْنَ الْجُمْهُورِ الْبَسِيطِ . الَّذِي تُعْتَبَرُ هَذِهِ الْعُلُومُ بِالنِّسْبَةِ لَهُ طَلاَسْمًا تَسْتَحِقُّ فَكَّ شَفَرَاتِهَا بِوَاسِطَةِ الْمُتَخَصِّصِينَ مِنَ الْعُلَمَاءِ الْأُدَبَاءِ .

مَسْرَحِيَّةُ "الْوَلَايَا" ، وَأَرْوَاحُ جَنُوبِيَّةٍ مُعَذِّبَةٍ

مسرحية

(الولاي)

عن روح (بيته من لحم) ليوسف أحمد ريس

تأليف / أسامة البرنسا

البحث عَنْ عملٍ أدبيٍّ يتناولُ الحالةَ الجنوبيةَ الصعيديةَ في الأساسِ بشكلٍ عميقٍ ، وهادفٍ ، وصادقٍ أصبحَ كالبحثٍ عن إبرةٍ تائهةٍ في كومةٍ قشٍّ مكونةٍ من مجموعةٍ من النصوصِ الأدبيةِ التي كَتَبَتْهَا أفلامٌ تجهلُ واقعَ هذه المنطقةِ ذاتِ الخصوصيةِ الثقافيةِ الراسخةِ ، وللأسفِ تتناولُها بشكلٍ قالبٍ فنيٍّ جامدٍ يدورُ حولَ شكلٍ سطحيٍّ قشريٍّ غَدَّتْهُ السينماُ ، والدِّراماُ الصعيديةُ القاهريةُ المنشأُ . فغَلَبَتْ عليه الأساطيرُ ، والمبالغاتُ أكثرَ من واقعِ هذه البُقعةِ المصريةِ الأصليةِ .

مؤخراً طالعتُ النصَّ المكتوبَ لمسرحية "الولايا" ، والتي كتبها الأديبُ الأقصريُّ "أسامة البنا" ، والتي استهلَّ الغلافُ فيها بتنويهٍ أنَّ هذا العملُ هو عن رُوحِ القصةِ القصيرةِ (بيتٌ من لحمٍ) للراحلِ (يوسف إدريس) ، وهذا يُثَبِّتُ مدى صدقِ الكاتبِ ، وعرفانهِ للفكرةِ التي طرحتها القصةُ القصيرةُ ، والتي ألهمتُ أديبنا الكبيرَ ليغزُلَ مسرحيتهُ الأشبهَ بالمرثيةِ الصعيديةِ ، وينحتَ من خلالها صورةً أدبيةً ثلاثيةَ الأبعادِ لصعيدٍ مصرَ الحقيقيِّ بعيداً عن النمطيةِ ، والتكرارِ .

المسرحيةُ كنصٍّ كُتِبَتْ في (خمسَ وثلاثين) صفحةً كما هو معتادٌ من أديبنا المتمكِّنِ ، والذي يكتبُ أعماله بصورةٍ مكثفةٍ متصاعدةٍ الإيقاعِ ليأخذَ القارئُ على حينِ غرَةٍ ؛ فيكتشفُ أنه في بطنِ العملِ خلالَ دقائقٍ ممَّا يجعلُهُ يقعُ في شباكِهِ ، ولا ينفكُ منه إلا في نهايتهِ ، وقد وصلتِ الأحداثُ إلى الذروةِ حيثُ الرسالةُ العميقةُ للمسرحيةِ .

تدور أحداث المسرحية حول (عسكرية) الأم لثلاث فتيات لم تتزوجن ، ويُتوق والدُهم (جابر) ، ويقدم (عوض) أخو (عسكرية) عرضاً لها بأن تتزوج شيخاً كفيفاً يُدعى (محفوظ) . كل ذلك من أحداث قد سبقها حادث مقتل شاب يُدعى (الغريب) وصفاً له . لأنه قادم من وجه بحري ، وتبدأ روحه "صله" بالتعبير الصعيدي في الظهور لعائلة (عسكرية) على فرسه كما اعتاد ، وهو حيّ مثيراً الدُعر في قلب أهل القرية ، و(جابر) زوجها . لتتوالى الأحداث ، والمواقف سريعاً.

تتناول المسرحية العديد من القضايا الملحة في صعيد مصر من قضية الشرف الملتصق دائماً في الذهنية الجنوبية بالعار الأنثوي ، والذي قد يدفع الرجال لفعل أي شيء مهما كان إجرامياً لمجرد الدود عنه ، وحماية عاره المتخيل ..!

تناولت المسرحية أيضاً النظرة السلبية للشمال من قبل الجنوبيين ، والتي تحمل درجة عالية من الاستعلاء ، والفوقية . وكذلك نظرة السخرية من الشماليين للجنوبيين . بالرغم من أنهم يجمعهم نفس الهم ، والوجع . أيضاً لم تُغفل المسرحية تناول قضية العنوسة في الصعيد ، والتي تتسم هناك بطابع قاسٍ مريب خاصةً إذا شاب العائلة أي حادث يتعارض مع العادات ، والتقاليد المتوارثة ، والتي أحياناً تكون غير مفهومة ، ولا مُبررة ، وكما هو معروف فإن العمل المسرحي يكون قائماً على الحوار بين الشخصيات ، وقد أجاد الكاتب ذلك ببراعة حين وصف الصراع الدائر بين

الشخصيات مستخدمًا الألفاظ ، والمفردات الصعديّة بتوظيفٍ ينمُّ عن عمقِ الصِّلَة بين الكاتب ، ومجموعه ، ومن أمثلة هذه المفردات الصعديّة " الصِّل " بضم الصاد ، و "واكل ناسك " ، و "عس" ، و "حلاكي" ، وغيرها الكثير من المفردات ، والتعبيرات التي تجعل القارئ يدخل بحقّ في جوّ الحكاية بروحٍ صعيديةٍ خالصة .

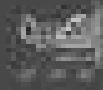
اعتمدَ الكاتب على مثلث شخصياتٍ أضلّعه (عسكرية) التي من اسمها يتنبأ القارئ بشدّتها ، وحزمها برغم ما تخفيه من عاطفةٍ ، وروحٍ إنسانيةٍ عميقةٍ ، و الضلع الثاني (عوض) الأخ الأكبر الملتزم حرفيًا بالعاداتِ البالية ممّا جعله يدفع ثمن ذلك غاليًا ، وهو تلتطّخه بلعنة الدّم الحرام ، وأخيرًا الضلع الأخير متمثلاً في شخصية (روح) الغريب التي رمزَ من خلالها الكاتب للقاضي الخفي الذي يحاكم الشخصيات بشكلٍ متكررٍ.

هذا البناء الهندسي أظهر المفضلة الرئيسية في المسرحية في صورةٍ تشريحيةٍ ، و غير مباشرةٍ للقارئ.

أظهرت المسرحية شخصياتها بصورةٍ أرواحٍ معدّبةٍ سواءً (عسكرية) ، وبناتها الثلاث العوانس اللاتي يلجأن ل (خلخال) والدتهن ليخدعن الشيخ (محفوظ) الضرير . كما كان الخاتم هو الوسيلة لخداع الضرير في قصة الراحل (يوسف إدريس) "بيت من

لحم" ، ولكن هنا استبدل الكاتب بذكاء الفقر المدقع لشخصيات (يوسف إدريس) كسبب لهذا الخداع الحرام بالعادات ، والتقاليد التي وصمت عائلة (عسكرية) بسبب (الغريب) ، وهنا يظهر للقارئ تمكُّن الكاتب في بناء نصٍّ مسرحيٍّ متكاملٍ يحكي تجربةً صعيديةً بامتيازٍ مولودةً من رُوحِ فكرةٍ عملٍ آخر يصلُ إلى نفس النتيجة ، ولكن بوسائلٍ مختلفةٍ تمامًا مع الغوص ، والتعمُّق في العمل المسرحي ، والذي قد تمَّ عرضه على خشبة مسرح (قصر ثقافة الأقصر) عام (2018) ليكتشف القارئ أو المتفرج وقتها أنَّ رُوحَ أو "صل" (الغريب) كانت هي النَّفسُ المطمئنة الوحيدة في المسرحية للمفارقة ، وباقي الشخصيات تخضع لعذابٍ نفسيٍّ بالغ الألم ، وعلى رأسهم المسكين (عسكرية) ، والقاتل (عوض) ، والذي أظهر الحوار بينه ، وبين رُوح (الغريب) هذا الجلد المستمرَّ لروحه المحترقة بنيران كلمات (الغريب) ، والتي صاغها كاتبنا المتمكِّن في صورةٍ أشبه بالشعر العاميِّ ممَّا أعطاه طعمًا ، وعذوبةً بالرغم من قسوتها البالغة .

معركة "درة" مجموعة قصصية برائحة الوطن العربي



معركة درنة

علاء أبو زيد



قليلٌ من الأعمال الأدبية التي تتناول شخصياتٍ متعددة الجنسيات ، والثقافات بزوايا تغلب عليها الروح الإنسانية البحتة بعيداً عن التناول الخارجي لثقافة الشعوب ، وعاداتها ، وتقاليدها .

من تلك الأعمال الفنية ، والتي طالعها مؤخرًا المجموعة القصصية الممنعة للأديب والقاص ابن سوهاج (علاء أبو زيد) الذي طافَ بي كقارئ الوطن العربي من خلال حكي شخصياتٍ وسط البلد ، وذكرياتٍ غريبة العائلة إلى (ليبيا) الشقيقة انتهاءً بتسريح عميقٍ لكافة التحولات السياسية ، والاجتماعية التي عصفت بمصر في عقد السبعينيات وصولاً إلى وقت قيام ثورة (25 يناير) .

بالرغم من أن العمل يتميز بصغر الحجم ، والصفحات إلا أنه تمت كتابته بعناية ، وبمشرطٍ جراحى دقيق . حيث إن الكاتب يعرف أدواته جيدًا ، و يعرف ماذا يريد ، وإلام يرمي ؟ .

يبدأ الكاتب بقصته التي عنونَ بها مجموعته "معركة ذرنة" ، وهنا يتبادرُ لذهن القارئ أن الكاتب سيتناول أحوال الشقيقة (ليبيا) ، ومعركتها مع الإرهاب الذي ضرب صحرائها الشاسعة بعد مقتل (القذافي) ليتفاجأ القارئ أن القصة تتناول معركة ثلاثة أطفالٍ مصريين ، وليبيين ، وكيف يستدعي الكاتب روح المجتمع الليبي الذي كان يصف المصريين بـ "القوالة" حبهم أكلة الفول الشعبية ، وكيف يقارنها بقرية الأم في

مصر ، وجده الهاوي للعب "النبوت" كنايةً عن العزة ، والكرامة ووجوب الدفاع عن النفس.

تناول الكاتب في قصته " السوري العاشق " قضيةً من أكثر قضايا العالم العربي ألماً

، وحساسيةً ، وهي القضية الكردية ، والتي يصف فيها الكاتب ببراعةٍ حالَ سوريٍ كرديٍّ منفيٍّ إلى مصرٍ لمقاومته الأتراك الغزاة ، وكيفَ يذوبُ حباً في القاهرة وروحها الإسلامية الممثلة في مسجد (الحسين رضي الله عنه) بشكلٍ متوازٍ لحبه ، و غرامه بإحدى الفتيات العربيات القاطنة بالقاهرة مثله .

في قصته "3 يوليو" تناول الكاتب حالَ مصر في لحظة عزل الرئيس المصري السابق (محمد مرسي) ، وهنا تناول حالَ الوطن كمواطنٍ عاديٍّ غير مُسيَّسٍ ، و غير مهتمٍ إلى أن يصلَ هو وعائلته إلى القاهرة بتلك السيارة "الشاهين" المتهالكة ، والمقصود بها الوطن ، وذلك يوضحُ أنَّ المواطنَ البسيطَ لا يعنيه غيرُ الاستقرار ، و الازدهارِ

، وتأمينُ العائلة ، وغير ذلك من صراعاتٍ سياسيةٍ فوقيةٍ لا تُهمُّه ، ولا تَعبُه في شيءٍ.

جاء ذكرُ الرئيس الراحل (جمال عبد الناصر) في قصةٍ بعنوانٍ يحملُ اسمَ "الرئيس"

، وهي قصة تتناول تباهي الأطفال باسم الزعيم ، وهم يتسابقون لعبور النيل ، ومن يكسب سيُنعتُ أبوه باسم (جمال عبد الناصر) ليوضح لنا الكاتب في ذكاء من خلال قصة قصيرة أشبه بالومضة حقيقة انتمائه السياسي ، وتقديره للزعيم الراحل.

يتناول الكاتب في قصته " مدينة الهواجس " حال مدينة (العرش) ، والتي تحوّلت إلى ما يشبه الثكنة العسكرية بسبب الإرهاب عن طريق تناوله لقصة امرأة اختفى زوجها ، وتحبّ المدينة التي تبدّل حالها بعدما عصّف بها من أحداثٍ جسام.

ختم الكاتب مجموعته بقصة " المعتزلون " التي من خلال شخصياتها تناول حال جيل نشأ في عقد السبعينيات. حيث سيطرت التيارات " المتأسلمة " على الجامعات برعاية الرئيس (السادات) ، والذي وصفه الكاتب بخليفة الزعيم .

ونجح الكاتب في تشريح هذا الزمن ، وفساده ، وما نتج عنه من شخصيات مشوّهة محطّمة متمثلة في الدكتور (عصمت) الذي يبيع الحبوب المخدّرة ، و مساعدُه (مدحت) الذي يترك أولاده يبيتون في العراء لعدم وجود مأوى لهم ، و كيف أنّ الجميع قد انتهى بهم الحال إلى أسوأ وضع نتيجة لتعطيم الأحلام مبكراً ، والتي

وصف الكاتب أسبابها المجتمعية ببراعة ، ودقة بالغة ، وكنت أتمنى أن تكون قصة "المعتزلون" هي اسم المجموعة القصصية ، والتي استعاض عنها الكاتب باسم أكثر جذباً للقارئ . في النهاية فإن مجموعة "معركة درنة " هي عمل أدبي متكامل يحكي تجربة ذاتية لجيل عايش زمنًا كان فيه ما يُسمى بالحلم العربي الموعود لينتهي بأوطانٍ شتّى، وأوضاعٍ مؤلمة .!

"نَجْعُ بَرِيطَانِيَا الْعُظْمَى" رَوَايَةُ تُوثِّقُ تَارِيخَ الصَّعِيدِ الْمَنْسِيِّ

حسام العادلي
نجع
بريطانيا العظمى
رواية



قليلة تلك الأعمال الأدبية التي تناول الصعيد المصري بدرجة عالية من الدقة ، والمصدقية بعيداً عن الشكل النمطي السينمائي للمجتمع الجنوبي ، وقليلة جداً تلك الأعمال الأدبية التي تناولته في فترات ما قبل قيام ثورة (23 يوليو 52) حيث كانت معظم الأعمال الفنية تنصب على الريف المصري التقليدي في دلتا مصر بينما كان ريف الصعيد نسبياً منسياً!

من تلك الأعمال الحديثة التي تناولت أدبياً الصعيد بدقة ، وموضوعية رواية "نجع بريطانيا العظمى" للأديب القاضي (حسام العادلي) ، والتي وثق فيها لفترة من أكثر فتراته غموضاً حيث الانتقال بين العهد الملكي ، والجمهوري ، وما تحلّل هذه الفترة من احتلال انجليزي ، وفترة قيام حركة الضباط الأحرار التي تحوّلت إلى ثورة بعدها.

صدرت الرواية عن (الدار المصرية اللبنانية للنشر) ، وضمت في صفحاتها التي بلغت (مائة وثلاثة وتسعين) رسماً أدبياً لصورة القرية المصرية في قلب الصعيد ، والتي تلاقى على أرضها العديد من الخيوط السياسية ، والاجتماعية ، والاقتصادية لتلك الفترة الغامضة من تاريخ الوطن. تناول الكاتب القرية من خلال (نجع السعداوية)

، والذي سمّته الصحافة المعارضة وقتها "نجع بريطانيا العظمى" حسب تعبير الكاتب ، نظراً لوجود "كاتب انجليزي" على أرضه اندمج بشكل أو بآخر مع قادة هذا النجع ممثلون في العمدة (السيد) ، وأبنائه ، ومن خلال الرواية اتضح أنّ هذه العائلة الريفية

الصعيدية هي المكونة لأصغر حلقات السلطة في ذلك العهد ، والتي كانت تعتمد على العمدة ، وشيخ الخفر، وكيف أن هذه السلطة الأولية كانت نواة الحياة السياسية في مصر وقتها فهي من تحشد الجماهير (للباشا برهان) ، وهي من تسهل الظروف لاستضافة "الكاتب الإنجليزي" ضد رغبة الأهالي ، وهي من تتستر على جرائم قتل لصالح المسؤولين الإنجليز، والمصريين على حد سواء .

وضَّح الكاتب التغيير الذي طرأ على العائلات المصرية من كبار ملاك الأراضي على مدار ثلاثة أجيال . الجد الذي قاده الظروف إلى اقتناص العمودية ، والأراضي بالحيلة من أخواله ، والابن (حسن العمدة) الضعيف ، والحفيد (زين) الذي رأى انهيار تلك المنظومة ، وما شابها من تغييرات سياسية ، واجتماعية بسبب الثورة ، وقوتها الدافعة إلى التغيير !.

عبر الكاتب أيضاً عن طبيعة الدين في القرى في ذلك الوقت . حيث كان يرتفع على قمته أمثال الشيخ (الطشطوشي) الدجال . بينما الشيخ الأزهرى المناضل (أبو الجود) فكان منبؤاً سياسياً لمواقفه الوطنية ، وانتهى به الحال مقتولاً على يد أحد أفراد عائلة العمدة .

لم ينس الكاتب طرح رؤيته للمدينة القاهرية في ذلك الوقت ، ومقارنتها بالريف المنسي ، وكيف علل سبب الهجرة الداخلية للمدن ، والتي ازدادت بعد الثورة من

خلال عَقْدِ مقارنةٍ حَفِيَّةٍ مصنوعةٍ بعنايةٍ ، وبشكلٍ حَفِيٍّ ، ومُحَنِّكٍ يجعلُ من القارئِ متلقياً إيجابياً لتلك الظاهرة الاجتماعية الصاعدة وقتها .

لم يكنِ الأجنبُ في الرواية مجردَ نموذجٍ مُصَمَّمٍ للمحتلِّ لكَتْهُمُ في الرواية كانوا بَشَرًا مُجَرَّدِينَ من الهِيبةِ الْمُصْطَنَعَةِ ، وكانتْ عائلةُ (هاريس) نموذجًا مأساويًا لعائلةٍ إنجليزيةٍ مضطربةٍ لا تختلفُ كثيرًا في أفعالها الشائنة عن أيِّ مجتمعٍ مُتَخَلِّفٍ يحكمُهُ الإنجليزُ في أيِّ مكانٍ في العالمِ .

أَنصَفَتِ الروايةُ في النهاية ثورَةَ (23 يوليو) بشكلٍ غيرٍ مباشرٍ . حيثُ تحوَّلَ هذا النجعُ الخاضعُ للعمودية المتواطئة مع المحتلِّ تحت اسمِ (نجع السعداوية) إلى نجع (الشيخ أبو الجود) المناضلُ السابقُ ليمتلئ بالأفندية ، والمتعلمين ، ولِيتساوَى فيه (مغاروي) الخادمُ مع العمدة (حسن) أمامَ القانونِ ، وَلِتُنزَعَ هذه القدسيَّةُ بلا رجعةٍ لهذه الطبقةِ الطفيليةِ ، والتي طالما امتصَّتْ خيراتِ هذا الوطنِ ، وتحالفتْ مع أعدائِهِ !.

رواية " يا عزيز عيني " ، ورصد تحولات القرية المصرية

يا عزيز عيني

رواية

جماليات عبد اللطيف

الطبعة الثالثة

٢٠١٧م

لا يزال الريف المصري بعنصريه (الدلتا ، والوادي) هو المنبع الحِصْبُ ، والرافدُ الرئيس لأي كاتبٍ يُحِبُّ أن يُوثِّقَ تاريخَ هذا الوطنِ عبرَ العصورِ لأنه من خلاله سيستطيع أن يُسجِّلَ التغيُّراتِ التي تطرأ على الدولة المصرية في مراحلها الأولى

، والتي بمجرد أن تصل إلى كتلةٍ خرجةٍ معيّنة نتيجة ظروفٍ مُستحدثةٍ سنجد أنها تنعكس على الفور في صُورٍ متعددةٍ واضحةٍ وبلغيةٍ في تلك البيئة الريفية البسيطة التي لا تستطيع أن تُخفي التحولات الهيكلية في نسيجها الاجتماعي ، و الاقتصادي خاصةً ، وأنها في نقائها أشبه بصفحة الماء الذي يهتزُّ مُحدثاً موجاتٍ ، وموجاتٍ بمجرد إلقاء أي حجرٍ فيه مهما كان حجمه .!

تعتبرُ رواية " يا عزيز عيني " للكاتبة القديرة (جمال عبد اللطيف) ، والتي صدرت عام (٢٠٠٣ م) من تلك الأعمال الأدبية القليلة التي تناولت تلك التحولات في طبيعة قُرى مصرَ عبرَ عقودِ الستينيات ، والسبعينيات وُصولاً إلى ما بعد عصرِ الانفتاح السادى الشهير ، وذلك من خلال سردية شاعريةٍ لقصةٍ حُبٍ بسيطةٍ ظاهرياً ، ولكن تلك القصة السهلة ، والمتكررة قامتِ الكاتبة من خلالها بتشريح واقع الريف بشكلٍ عَرَضِيٍّ عبرَ عقودٍ متنوِّعةٍ عاشتها البطلة ، وبشكلٍ طُولِيٍّ وَصَفَتْ هذا الريف ، وتركيبته الاجتماعية، والاقتصادية، وتمرور الأحداث

، والتشريح الطُولِيٍّ ، والعَرَضِيٍّ المتناسقِ تتكوَّن للقارئ لوحةً فيئةً واقعيةً عن بُقعةٍ أصيلةٍ ، وعزيزةٍ من وطننا عاشتْ ، وقاستْ تغيُّراتٍ حادةً ناتجةً عن حروبٍ

، وانكسارات عاشتها كما عاشها أهل أي مدينة مصرية أخرى .

تحكي الرواية عن قصة حب بين فتاة تُدعى (صاحلة) وبين شاب يُدعى (مسعود)

، وبسبب الثأر يترك الشاب القرية بحثًا عن المال لشراء السلاح لينتقم من قتل والدِه تاركًا حبيبته لبرائين القهر الأسري ، والاجتماعي لتخرط هي بدورها في توجيه رسائل مفتوحة إلى (مسعود) الغائب لتحكي من خلال الرسائل عما حدث لها أثناء فترة غيابِه ، وعما تعرضت له من قسوة ، وظلم ، وقهر لتنتهي الرواية بنهاية مفتوحة بخطابٍ أخير لم يصل بطبيعة الحال إلى (مسعود) الغائب منذ زمن!

وللهولاء الأولى قد يعتقّد القارئ أنه أمام مأساة حبٍ تقليدية متكررة في ريفنا المصري ، ولكن مع مرور الأحداث سيكتشف أن هذه المأساة تُخفي وراءها واقعًا أكثر إيلاَمًا لقرى مغلقة تتّوج بالفقر ، والجهل ، والظلم ، ووفدت عليها مع الزمن آثار رياح التقلبات السياسية التي عاشتها مصر ، والعالم العربي في فترة من أدقّ عهود الصراع العربي الإسرائيلي ، وما انتهى إليه من تطبيع ، وسلام ، وطفرة الخليج البترولية ، والتي استدعت فلاحِي تلك القرى للعمل فيها لتتغير صورة هذا الريف الزراعي المنتج إلى ريف مشوّو بالمباني الخرسانية الطاغية الارتفاع ، وكمائن الطوب الملوثة للبيئة ، والمعبّرة عن حقبة "البترودولار" ، وما تبعها من تأثيرات عميقة في واقعنا المصري المعاصر. وثقت الكاتبة من خلال البطلة ، وخطاباتها إلى الغائب (مسعود) العديد من الأحداث السياسية الهامة من تنحّي الزعيم الراحل (جمال عبد

الناصر) ، و انتصار أكتوبر ، و وفاة الفنان (عبد الحليم حافظ) و اتفاقية السلام مع العدو الصهيوني ووصولاً إلى اغتيال الرئيس (السادات) ، و يتخلل تلك الأحداث الهامة رصد دقيق لريف انعكست عليه كل هذه الأحداث في صورة جنود عاؤوا من الحرب بأطراف مقطوعة ، وشباب متعلمين سافروا إلى دول أخرى للعمل بالتدريس

، وآخرون من البسطاء هاجروا إلى القاهرة للعمل هناك في وظائف متواضعة تاركين قراهم للمقاهي ، وأصوات "الكاسيت" ومطربي الإسفاف. تمتعت الرواية بلغة شاعرية سهلة ، وممتعة في نفس الوقت فنجد أن الألفاظ المستخدمة بسيطة ، ومعبرة ، ونابعة من الطبيعة القروية الغالبة على العمل ، وتعدد الكلمات النابعة من الريف من أمثلة (الكانون ، والوقيد ، والطليسان ، والخلخال) بالإضافة إلى امتلاء الرواية بالعديد من المواويل الشعبية ، والأمثال والأغاني التراثية المستقاة بعناية فائقة من تلك البيئة الخصبة .

من أهم المظاهر التي عيّرت عنها الكاتبة في الرواية العلاقة الخاصة بين عائلتَي (محمد إبراهيم) ، وعائلة عم (شنودة) القبطية ، والتي صيغت بعناية بالغة في مشهد جلسة العائلتين مع بعضهما البعض فوق سطوح المنزل في تجمع يحمل أقصى درجات الؤد ، والإخاء ، ويكتشف القارئ أن هذه العلاقة وصلت إلى حد الأخوة في الرضاة بين (صالحة) ، و(تريزة) بالإضافة إلى ذكر الرواية للعديد من مظاهر وحدة الموروث بين عنصرَي الأمة مثل : توزيع (أم مسعود) الحلوى على الأطفال في المولد

التَّبَوِّي ، والجمعة الحزينة وعيد الغطاس لتؤكد الرواية من خلال تلك التفاصيل الدقيقة عن متانة العلاقة بين المسلمين ، والأقباط في ذلك الوقت قبل أن تهب عليها رياح الفتنة الطائفية المستوردة من الفكر الديني الصحراوي .

ظهرت المرأة المصرية بجلاء داخل العمل فكان لها الدور المركزي في الأحداث مثلاً في العديد من المشاهد الهامة مثل جدّة (صالحة) ، والتي وقفت إلى جانب حفيدتها ضدّ ظلم الأهل ، والخالّة (أم مسعود) ، والتي صمدت بعد مقتل زوجها بالخطأ في حادثٍ ثارٍ لئنهي حلقة الانتقام المغلقة بتنازلها عن الثأر ، وقبولها الكفن من عائلة القاتل ، وبقائها في أرضها تررعها وتحرقها منتظرة ابنها الغائب (مسعود) وصُولاً إلى الخالة ،

(مريم) تلك المرأة القبطية الطيبة ، والتي كانت نعمة الأخْت ، والصديقة لوالدة صالحة مؤكّدة عن متانة العلاقة بين المسلمين والأقباط. كانت مريّة الثأر أحد أهمّ أركان الرواية ، وبادراك ، ووحي جمعت الكاتبة الصعيدية المنشأ بين فكرة الثأر في القرية ، والذي أدّى إلى مقتل والد مسعود بالخطأ ، وثأر عائلة (صالحة) مع الصهاينة الذين قتلوا عمّها (يحيى) لتثبت الرواية أنّ ما بين العرب ، والكيان الصهيوني ليس صراعاً سياسياً معتاداً فقط . بل هو دم ، وثأر معقود في رقاب الكثير من أهالي الشهداء من أبناء هذا الوطن الذين ارتقت أرواحهم دفاعاً عن تراب بلدهم وأرضهم . انتهت الرواية بكلمات (صالحة) إلى الغائب (مسعود) في خطابٍ أخيرٍ حمل جملةً

تعبّر عن إصرار البطلة على الصُّمود ، والانتظار . حيثُ قالتُ : (لقلبك مَتي
السلامُ ، ولي الصبرُ الجميلُ والاحتمالُ حتى تعودَ) !.

لتنتهي تلكَ السرديةُ الشاعريةُ ، ومنتظرُ نحنُ معها (مسعود) علَّه يعودُ ..!

د/ جیکل ، ومستر هايد ، ومأساة الإنسان المعاصر



يُعَدُّ أدبُ الخيالِ العلميِّ مِنْ أحدثِ أنواعِ الكِتَابَةِ الأدبيَّةِ خاصَّةً لِمَا ارتبطَ بِهِ مِنْ صِلَةٍ قويَّةٍ بما أسفرتْ عَنْهُ الثَّوَرَاتُ الصنَاعِيَّةُ المتتاليَّةُ مِنْ تغيُّراتٍ سلبيةٍ فِي الواقعِ النَّفْسِيِّ ، والاجتماعيِّ ، والاقتصاديِّ لِلإنسانِ الْمُعاصِرِ .

يتميّزُ أدبُ الخيالِ العلميِّ بطرحِ قضايا إنسانيةٍ مُطلَقةٍ فِي قَالِبٍ مِنْ الخيالِ ذي الصَّبْغَةِ العلميَّةِ المُخَصَّصَةِ ، والذي يتميّزُ دائِمًا بنوعٍ مِنَ التَّشويقِ ، والإثارةِ التي تَحْمِلُ بَيْنَ طَيِّبَاتِهَا لِلقارئِ رسالةً فكريَّةً مُبْطَنَةً لقضيةٍ مِنَ القَضَايَا الشائكةِ ، والتي لَا يَتِمَكَّنُ الكاتِبُ عَادَةً مِنْ طَرْحِهَا بِشكلٍ مُباشرٍ عَلَى الجمهورِ .

مِنْ تِلْكَ الأَعْمَالِ الأدبيَّةِ العميقةِ التأثيرِ ، والهدفِ : الروايةُ الشهيرةُ للكاتبِ الإسكتلندي "روبرت ستيفنسون" تحتَ عنوانِ "القضيةُ الغريبةُ" لدكتور جيكِل

، ومستر هايد " ، والتي تم إصدارها فِي (1886 م) ، وذلك أَثناءِ الثَّوَرَةِ الصنَاعِيَّةِ الكُبْرَى فِي إنجلترا وَفِي أَوَجِ العَصْرِ "الفِيكتوريِّ البريطانيِّ" .

تَدورُ أحداثُ القِصَّةِ حَوْلَ جَرِمْةٍ قَتْلِ فتاةٍ ذَهَسًا بالأقدامِ يَقُومُ بِهَا شَخْصٌ متَوَحَّشٌ يُدْعَى "مستر هايد" ، والذي يَقُومُ بِدفعِ تعويضٍ مَالِيٍّ كَبِيرٍ لِأَهْلِ الفتاةِ عَنْ طَرِيقِ "شيك" مَوْقَعٍ بِاسْمِ أَحَدِ أَبْنَاءِ الطَّبَّاقَةِ "الأرستقراطيةِ الإنجليزِيَّةِ" وَيُدْعَى "د.جيكِل" يَقُومُ المحامي "أوترسون" بِالتحقيقِ فِي عَلاقَةِ هَذَا الشَّخْصِ المتَوَحَّشِ "هايد" بِصَدِيقِهِ القَدِيمِ (د.جيكِل) ، وَيَسْتَمُرُّ مَسلسَلُ الجُرَائِمِ التي يَرْتَكِبُهَا "هايد" ، وَتَلَحُّقُ الشُّبْهَةِ

بـدكتور "جـيـكـل" لـيـكـتـشـفَ المـحـامـي فـي النـهـايـة أنَّ "د.جـيـكـل" هـو "مـسـتـر هـايـد" ، وأنَّ ذلـك نـتـجَ عـن اـخـتـراع (د. جـيـكـل) لـتـركـيـبـة دوائـيـة تـجـعـلُهـُ عـندمـا يـتـناوـلُـهـا يـتـحـوّلُ إـلى شـخـصـيـةٍ نـقيـضـةٍ لـهُ ، وهـو "مـسـتـر هـايـد" هـذا الوُحْشُ البـشـريُّ الـذي يـرتـكـبُ الفـظـائـعَ دـونَ أيِّ نـدَمٍ ، أو كـيـحَ لـغـرائـزِه الحـيـوانـيـةِ الدافـعـة لـهُ .!

قُوَّةُ ، وروعةُ هـذا العـمـلِ الأدـبيِّ تـكـمُنُ فـي قـدـرةِ الكـاتـبِ عـلى الوـصـفِ الدـقيقِ لِلـبـنـيـةِ النـفـسـيـةِ لِلـإنـسـانِ المـعـاصـرِ ، والـذي يـتـنازـعُهـُ الخـيـرُ ، والشَّرُّ بـشـكـلٍ دائـمٍ ، وإنَّ كانَ قـديـمًا لـم يـكُنْ هـنـاكَ الكـثـيـرُ مـنَ الصـوابـطِ الـتي تـكـبُحُ جـمـاحـهـُ فَإِنَّ إنـسـانَ العـصـرِ الـحـديثِ مـحـاطٌّ الآنَ بـمـنـظـومـةٍ أخـلاقـيـةٍ ، واجـتـمـاعـيـةٍ مُقَيِّدَـةٍ لـسـلـوكِهـُ ، وتـوجُّهـاتِهـُ ، و انـفـعـالـاتِهـُ جـعـلـتـهـُ أشـبـهَ بـالتـرُسِ فـي تـلكَ الآلـةِ الاجـتـمـاعـيـةِ الـحـديثـةِ .

ناقـشَ الكـاتـبُ أَيْضًا فـكـرةَ الازدواجـيـةِ النـفـسـيـةِ ، وما يُعـرَفُ بِالنِّقَاقِ الاجـتـمـاعـيِّ

، والـذي أـشـارَ إـلـيـهـُ الكـاتـبُ بـبراعـةٍ فـي مـتـناقـصـةٍ "جـيـكـل" ، وهـايـد". فـ "جـيـكـل الأرسـتـقـراطـي" الـابـنُ البـارُّ لـلـحـضـارـةِ ، والمـدنيـةِ الغـريـبـةِ ، والنـمـودجِ الصَّارِخِ لـ "جـنـتـلـمـان الأوروي" فـي العـصـرِ الـحـديثِ هـو نـفـسُ الشـخـصِ الـذي يُخـفـي ورائـهـُ هـذا الفـنـاعِ مـنَ التَّخـصُّرِ وحـشًا بـشـريًا مـنـحـلاً أخـلاقـيًّا وإنـسـانيًّا مـثـل "هـايـد" .

، وأنَّ "هـايـد" ما هـو إـلا المُنْتـجُ المـتـوقَّعُ لـتـطـوُّرٍ بـشـريٍّ حـتـمـيٍّ يـصـبـحُ التـغـيـيَ فـيـهـُ بـالأخلاقِ ، والمُثـلُ العـلـيـا شـعـارًا كـاذبًا خادِعًا ، وأشـبـهَ بِتَقْيَـةٍ حـضـاريـةٍ ، وأنَّ تـلكَ

المُزَايِدَاتِ الأخلاقِيَّةَ تُخْفِي وراءَها نماذجَ بشريَّةٍ مَمْسُوخَةً مَعْلَقَةً بينَ مرحلةٍ ما تحت الإنسانِ ، وما فوقَ الحيوانِ .

كانَ نموذجُ "جيكِل وهَايد" هُمَا أَكْثَرُ مَا اسْتَطَاعَ الكَاتِبُ "ستيفنسون" أَنْ يَصِفَ بِهِ الصَّرَاعَ الَّذِي يَسْتَعْرِ بِدَاخِلِ الْإِنْسَانِ الْمَعَاصِرِ فِي أَوَاخِرِ الْقَرْنِ الثَّاسِعِ عَشَرَ

، وَلَكِنْ لَا أَعْلَمُ مَا الَّذِي كَانَ سَيَعْبُرُ عَنْهُ نَفْسُ الْكَاتِبِ لَوْ عَاصَرْنَا فِي هَذَا الزَّمَنِ

، وَالَّذِي تَطَوَّرَ فِيهِ "د.جيكِل" لِنَجْدِهِ يَرْتَدِي أَثَوَابًا مِثَالِيَّةً مُخْتَلِفَةً مِنْهَا الدِّينِيُّ ، وَ الْحَقُوقِيُّ ، وَالسِّيَاسِيُّ بَيْنَمَا فِي الْحَقِيقَةِ الْمَجْرَدَةِ لَا تُخْفِي تِلْكَ الْأَثَوَابُ الْمُتَعَدِّدَةُ إِلَّا وَحُوشًا مُخْتَلِفَةً فَتَاكَةً لَا تَكْتَرِثُ بِأَيَّةِ أَعْرَافٍ إِنْسَانِيَّةٍ ، أَوْ قَوَاعِدَ أَخْلَاقِيَّةٍ ، أَوْ حَتَّى ضَوَابِطَ دِينِيَّةٍ ، أَوْ حَضَارِيَّةٍ .

فِي النِّهَايَةِ فَإِنَّ رَوَايَةَ "د. جيكِل وَمَسْتَر هَايد" كَانَتْ وَمَا زَالَتْ أَيْقُونَةً أَدْبِيَّةً لِلتُّرَاثِ الْإِنْسَانِيِّ ، وَعَلَامَةً فِكْرِيَّةً فَارِقَةً ، وَجَرَسَ إِنْذَارٍ مُتَوَاصِلٍ الرَّنِينِ لِيُنَبِّهَ الْبَشَرِيَّةَ عَمَّا وَصَلَتْ إِلَيْهِ مِنْ تَنَاقُضٍ نَفْسِيٍّ صَارِحٍ ، وَصِرَاعٍ أَخْلَاقِيٍّ مُسْتَعْرِ لِلنَّفُوسِ الْبَشَرِيَّةِ الْمَعْدَّبَةِ !.

المجموعة القصصية "خجل التوت" ، وحكاياتُ البُسطاء في

زمن أكتوبر " عبد الرحمن الشريف "



القصة القصيرة كنوع متفرد من الأدب تستطيع التعبير عن حدثٍ ما بصورة مكثفة

، وملخصة في سطور معدودة ، وتعتمد على تعدد موضوعات القصص التي يستقيها الكاتب من وحي عمله ، وتجاربه الإنسانية المتنوعة خاصة إذا حفلت تلك التجربة بحياة حافلة بالمواجه ، والآلام..

ينطبق ما سبق على مجموعة قصصية متفردة للقاص ، والشاعر الجنوبي " عبد الرحمن الشريف " ، والذي شملت مجموعته القصصية (الصادرة عام ٢٠١٩ عن دار نشر الصومعي) قصصاً متنوعة لحياة زاخرة بالأحداث ، والتي تصدرها نصر أكتوبر المجيد ، و ما اشتمل عليه من ذكرياتٍ ، و أحلام.

المجموعة القصصية تناولت عدداً من المحاور المختلفة ، والمتنوعة من الحب الأصيل الراقي ، وذكريات الحرب العvisية ، وحكايا البسطاء من ملح أرض الوطن كل ذلك جعل المجموعة غنيةً بالأفكار بالرغم من صغر حجمها .

تناول الكاتب ببراعة ، ورمزية الأمل في النصر الممزوج بشكل خفي مع الحب والرومانسية ..فمثلا جاءت قصته "من مفكرة أكتوبر " لتعبر عن مقاتلٍ يعدُّ حبيبته بالنصر ، وأن يُحضِر لها هدية من المعركة عبارة عن خوذَةٍ عليها نجمة داوود الزائفة..!

كذلك جاءت قصة " صباح يوم جديد " لتعبر عن نفس الوعد بشكل مختلفٍ ، وهو العودةُ سالمًا من المعركة .

وقمّزت قصصه (أعطني الحلم ، واختيار ، ووجهة نظر) بلغةٍ شعريةٍ راقيةٍ تجمعُ بين السرد ، والأسلوب الشعري ، وأضاف نكهةً مستساغةً لأعمال أدبية تتناول علاقة الحب العميق ، وما يختلجه من رُوح نابضة بالحياة .

جاءت العديد من القصص لتعبر عن مواقف حياتية للكاتب ، والتي ألقى فيها الضوء على ذكرياتٍ لها دلالاتُها ، فمثلا عبّرت قصة " أتوبس طريق بنها " عن واقع مجتمعيٍّ غريب من زواج شيخٍ طاعنٍ في السن من شابة صغيرة تنفجر أنوثَةً ، و حيويَةً ، وعبّرت قصة " في عنق الزجاجة " عن ظاهرة استغلال الفقراء من فتيات الليل مقابل الفُتات من المال ، وكيف أن هذا السلوك البشري هو أقصى درجات الإجرام الإنساني .

ثم نجد أن الكاتب يتناول في ذكاء ، وعمق حياة أطفال الشوارع المشردين التي يعترّيها الظلمُ ، والقهرُ ، والمطارداتُ الأمنية في قصته " بصمة حذاء على الوحل "

كان لتجربة أكتوبر نصيبًا في مجموعة المؤلف القصصية فتأتي قصة " هذا الصوت

، والقمر " ، والتي عبّرت عن حالة جنديٍّ يُدعى "ياسين" يجلس مرابطاً فوق تَبّةٍ رملية بمدفعه الزاخر بالطلقات ، والذي يقتنص الأعداء في شجاعة واضحة ، و يجمع

بين هؤلاء الغزاة من الصهاينة ، و " ديلسييس " الذي حفر القناة على جثث المصريين ، وبمساعدة أموال المرايين اليهود كأنه ينتقمُ للشعب المصري ، وما حاقَ به من ظلم ، واستغلالٍ .

قصة " أبو حطب " تناولَ فيها الكاتبُ بعمق تأثيرَ الحربِ ، وضحاياها على نفوس المقاتلين فهذا الجنديُّ " أبو حطب " يقتنص الأعداء ، وهو يردُّ جملته المؤثرة " الله حي .. عباس جي " انتقاماً لموتِ زميله الرقيب أول " عباس " الذي استشهد نتيجة شظية نتجت عن انفجار طائرة للعدو أسقطها الجندي " أبو حطب " .

وكما تناول كاتبنا نصرَ أكتوبر لم ينسَ أن يتناول هزيمة " يوليو " الثقيلة في قصته " الصدا " ، والتي عبر في عنوانها برمزية عن اهتراء نظام يوليو ، وما نتج عنه من فقدٍ أراضٍ مصريةٍ غالية . فتتناولُ القصةُ القصيرة " عودة جندي من الجبهة " بعد الهزيمة

، ولقائه بوالدته التي أصرت أن تعطيه بندقية والده التي تحدى بها العمدة الظالم في رمزية واضحة إلى القيادة السياسية في تلك الفترة المضطربة .

حاول الكاتب في إنسانية عالية التعبير عن كرامة الفقراء في قصته " خجل التوت " من خلال لقاء جمع بينه ، وبين شابة قروية حسناء تباع التوت ترفض أي محاولة للإحسان عليها ، وفي قصته " مقتل كلب عبد الجبار " تناول الكاتب الجنوبي مأساة

الثأر في صعيد مصر ، وفي قصته "الأنيق جدا" عبّر الكاتب عن مجموعة من الأحداث ، والمواقف التي يقابلها راكبو الأتوبيسات العامة .

وفي كل الأحوال فإنّ مجموعة "خجل التوت" تُمثّل لوحةً فنيّةً بديعةً للتعبير عن البُسطاء في بلدنا ، وما واجهوه من تجربة الهزيمة المريرة ، وما تبعها من نصر مجيد .

"الوارثون" ، ورحلة كفاح تسرد حكاية وطن



ثورة (يوليو ٥٢) ، وما أحدثته من تغيرات جذرية ، وهيكلية في بنية المجتمع المصري لا تزال مثار جدل فكري ، وسياسي عميق بين مؤيدين مقتنعين أنها كانت بمثابة تأسيس لعهد قيادة المصريين لوطنهم بعد عهود من سيطرة الملكية ، والإقطاع والاحتلال بينما يرى آخرون أن نظام يوليو ، وما شابه من شمولية سياسية هو السبب الرئيس في ارتداد مصر عن مسار التطور الديمقراطي الطبيعي للمجتمع السياسي

، والفكري المتوقع في عهد ما قبل الثورة ، والذي بالرغم مما اعتراه من مأخذ

، ونقاط ضعف إلا أن تطوره نحو الديمقراطية كان حتمياً .

رواية (الوارثون) للكاتب الراحل دكتور (خليل حسن خليل) ، والصادرة عن مكتبة مدبولي عام (١٩٨٧) هي الجزء الثاني من رواية (الوسية) ، والتي تناول فيها الكاتب سيرته الذاتية عن رحلة كفاحه في العهد الملكي حيث كان عمله بوسية خواجه يوناني ، وتركه لها ليلتحق بالجيش كصف ضابط تمكّن من إكمال تعليمه في كلية حقوق الإسكندرية ليتفوق بها ، ويكمل رحلة شقائه بتخرجه بتفوق بعد أن تم طرده من المدرسة الثانوية لعدم دفعه للمصاريف بالرغم من تفوقه !.

تناولت رواية (الوارثون) جزءاً هاماً من تاريخ مصر ، والعالم حيث الفترة المضطربة من نهاية العهد الملكي (الذي رسمت الرواية الأولى في تلك الثلاثية ملامحه في صورة

تراجيدية اختلطت بها الكوميديا السوداء لفساد مجتمع الإقطاع ، وسطوة الأجانب ، وفقر مجتمع الأغلبية ، والذي أسماه الكاتب بالوسية) .

إلى فترة انقلاب صغار ضباط الجيش المصري على الملك (فاروق) ، وسيطرتهم على الحكم بزعامة الرئيس الراحل (جمال عبد الناصر) مروراً بالعدوان الثلاثي ، و نمو الاشتراكية المصرية لتنتهي الرواية عند حرب (٦٧) ، وتسلم الرئيس (السادات) مقاليد السلطة في مصر .

وبالرغم من معاناة البطل " حسن خالد " في الجزء الأول من مجتمع الوسية ، و القهر الاجتماعي الضاغط الذي جعله يترك التعليم ، ويعمل كاتب أنفاز في الوسية بين الفلاحين ، وعمال التراحيل إلا أنه شرح العهد الناصري بكل صدق وتجرد يتفق مع كاتب يحترم الحيادية ، والموضوعية في الطرح .

الرواية تتجاوز صفحاتها أكثر من ثلاثمائة وخمسين صفحة وثقت من خلال شخصية (حسن خالد) تحولات جذرية عميقة في المجتمع المصري ، وذكر الكاتب أيضا أنه بالرغم مما حاق به من ظلم في العهد الملكي حيث تم حرمانه من دخول السلك القضائي بالرغم من تفوقه في كلية الحقوق بسبب عدم انتمائه إلى الأسر العريقة الغنية وقتها إلا أنه أكد أن عميد الأدب العربي دكتور (طه حسين) أنصفه عندما كان وزيراً للتعليم في أواخر العهد الملكي ووافق على بعثته إلى (إنجلترا) لدراسة الدكتوراه في الاقتصاد السياسي ليعود إلى الوطن ويعين مدرسا بجامعة (أسيوط) الحديثة التأسيس

، وهنا يتأكد للقارئ أنَّ الرواية هي انعكاس متجذّر للواقع دون تأييدٍ مبالغٍ فيه أو نقدٍ لاذعٍ خاوٍ تمامًا من الإنصاف.!

تبدأ الرواية بمشهد لقاء (الأومباشي) المتفوق (حسن خالد) مع النائب العام وسكرتيه ، وكيف أن هذا اللقاء العاصف كشف المجتمع الوسية ، والذي يلفظ أبناء الفقراء من المصريين ، ويجعل الالتحاق بالقضاء حكرًا على أبناء الأعيان ، وحتى من تمكّن من الالتحاق بالمناصب الهامة كان يتبرأ من انتمائه لتلك الطبقات الدنيا كأنها سبّة حيث لا يستطيع التصريح بذلك بعد أن التحق بطبقة البرجوازية المصرية حسب تعبير الكاتب.

رصدت الرواية رحلة البطل إلى (المملكة المتحدة) ، والتي استعمرت وطنه لسبعين عامًا ، وكيف أنه بالرغم مما اعتراه من انهيارٍ بالحضارة الغربية إلا أن مجتمع الوسية العلمي في الجامعات الإنجليزية رفض بشكلٍ قاطعٍ موضوعَ رسالته المتعلقة باقتصاديات المستعمرات السابقة للغرب ليؤكد الكاتب على سطوة النهج (الإمبريالي) العالمي حتى في الإطار العلمي الأكاديمي بالإضافة لذلك فقد وجد طبقة واضحة تعامل الملونين بشكلٍ عنصريٍّ ظهر جليًا في عدم قدرته على الإقامة إلا في أحياء مخصصة للأجانب ، ومع ذلك فقد تناول الكاتب تفاعل الشعب الإنجليزي مع العدوان الثلاثي حين خرج في تظاهراتٍ معارضةٍ لتلك الحرب الغاشمة ، وشارك

(حسن) في التظاهرات التي جمعته مع زوجته المستقبلية (برندا) تلك الفتاة الإنجليزية الثورية التي عادت معه إلى (مصر) لتشاركه حياته .

اصطدمَ البطلُ بالفاشية العلمية في رسالته للدكتوراه أيضًا في الجامعة بمصر بعد عودته حيث الدكتور الدكتور (الحداد) الذي "لا معقب لحكمه ولا راد لقضائه" حسب تعبير الكاتب ليؤكد مرةً أخرى على سلوك الوسية المستشري في كل مكانٍ وثقت الرواية بلغةً بليغةً العهدَ الناصري ، والذي بالرغم مما تمتّع به الفقراء من مزايا جعلت أصدقاءه القدامى من عمّال وسية الخواجة يتملّكون الأراضي من خلال منظومة الإصلاح الزراعي لكن في ذات الوقت أفردت الرواية نقدًا لاذعًا لنظام يوليو

، وتعرية ما به عورات سياسية ، واجتماعية ، واقتصادية فاضحة عن طريق مجموعة من المواقف الصعبة التي عاشها أثناء انتدائه إلى رئاسة الجمهورية كباحث في الاقتصاد الاشتراكي حتى ينظر للرئاسة هذا الفكر بعد أن أصبحت الاشتراكية شعارًا للمرحلة.

وضّح الكاتبُ التخبّطَ في إدارة نظامٍ اشتراكيٍّ حاولَ إضفاء شكلٍ دينيٍّ خارجيٍّ ليوحّد به النقدَ المبطنَ للمنظومة الاشتراكية بالإلحاد ، ومعاداة الدين ، ويبيّن أن الشكلية في التطبيق جعلت معظمَ الممثلين السياسيين للاتحاد الاشتراكي ، ومنظمة الشباب يسلكون مسلكَ أسياد الوسية في العهد الملكي .

فالبشوات ، والإقطاعيين وَرَثُوا طبقةً جديدةً من رجال النظام الجُدِّدِ الذين عاشوا حياةً مترفةً من نخبِ خيراتِ القطاعِ العامِ بِحُكْمِ قِيادَتِهِمْ له ، وآخرون استطاعوا الحصولَ على توكيلاتٍ عالميّةٍ من أمثلة (عتريس فورد) ، وهذا العامل عضو التنظيم الطليعي الذي يرتدي "كرافت" من ماركة "سولكا" الفرنسية الباهظة الثمن ، فعبرت الروايةُ بدقة عن هذه الحالة من الفِصام السياسيِّ الصارخِ بين الشعارات ، ، والحقائق على الأرض في وصفِ الروايةِ لمشهد اجتماع أفراد (التنظيم الطليعي) الذي تم تأسيسُهُ بأمرٍ مباشرٍ من الرئيس شخصيًا عندما شعر بفساد كوادِر (الاتحاد الاشتراكي) بشكلٍ منتظمٍ في منازل أفرادهِ لِيُفَاجَأَ أَنَّ هَؤُلَاءِ الأعضاء يتباهون بمظاهر الترف ، والبلذخ المتعارضين تماما مع مبادئ الدولة النامية الفقيرة .

اتَّسمت الروايةُ بدقة الوصفِ ، وبلاغة الأسلوب المعتمدِ على المزوجة بين الرؤية الإنسانية ، والتنظير المادّي الاقتصادي فمثلا تناولَ الكاتبُ مشهدَ اصطِدادِ زملائهِ لفتاةٍ فقيرةٍ تعمل بالدعارة ، وكيف كان تعبيرُهُ عن بشاعة المشهد غايةً في البلاغة في قوله " تناوب أبناءُ الأسْرِ التي وصفها النائبُ العام بأنها الأسرُ الوجيهُةُ الثريّةُ تناوبوا التهام تلك الفريسة الشعبية كانوا يُلْعَوْنَ فيها كالكلابِ .. ثلاثةٌ غِلاظٌ شِدادٌ يفتكون بإنسانةٍ ينخرُ المرضُ ، والفقر ، والمجتمعُ في صدرها ، وجسدها المعروق " .

وصف الكاتب أيضا مشهد سجن دكتور (حسن خالد) الانفرادي بسجن القلعة بعد أن صار ضحيةً لصراع مراكز القوى في العهد الناصري ؛ الذين جعلوه عِبرةً لأَيِّ

مفكّرٍ مستقلٍّ بعد إلقائه محاضراتٍ عن الاشتراكية في معسكراتٍ منظمةٍ الشبابِ بتكليفٍ ، وحضور نائب رئيس الجمهورية (زكريا محيي الدين) ، وهنا يصف الكاتب السجنَ الانفراديَّ بالكهفِ الممتدِّ عبر العصورِ ، ويزنازين الثُّمورِ الأمريكيةِ للشوار الفيتناميين و أيضا في وصفه للعباراتِ المنحوتةِ على جدرانِ الزنزانةِ في قوله " أهذه دماءُ الجماهيرِ يمصها القاهرونَ .. أم هي دماءُ المناضلينِ الفنَّانينِ خضّبت اللوحةَ لتخلعَ عليها جمالَ الفنِّ ، وقبحَ الواقعِ " .!

اهتم الكاتب دكتور (خليل حسن خليل) بأن يُشركَ زوجتهَ الإنجليزيةَ في الروايةِ فقد قامتُ برسمِ الغلافِ ، والذي جاء تعبيراً عن سياقِ العملِ حيث ظهرَ فيه العمَّالُ والفلاحونَ ، وهم يتصدَّونَ لأحدِ الأغنياءِ الجُدِّ الذي يدخُنُ سيجاراً ويفتحُ أمامه صندوقاً من العُمَلاتِ الذهبيةِ لتأتي هذه الصورةُ الفنيَّةُ البليغةُ تعبيراً عن تماثُلِ فكريٍّ ، وتطابقٍ واضحٍ بين الزوجين.



انتهت الروايةُ بخروج (حسن) من السجن الانفرادي إلى الخارج ليعودَ إلى أسرته الصغيرة ، ولتُختتم الروايةُ بالنتيجة المتوقعة لسلبياتِ هذا النظام الجديد في صورة هزيمة (٥ يونيو ٦٧) الثقيلة ، ووفاة (عبد الناصر) أثناء حرب الاستنزاف وصُولا إلى وراثَةِ (السادات) لمقاليدي السُلطة ، وليترك الكاتبُ المجالَ مفتوحًا للجزءِ الثالثِ من ثلاثيته ، والتي ظهرت فيما بعد تحت عنوان (السلطنة) لتناقش تلك الفترة المضطربة التالية لنصر (أكتوبر ١٩٧٣) ، وما حدث بها من تغيّراتٍ دراميّةٍ في الواقع المعاصر .

السيرة الذاتية

- الاسم/ عمرو منير محمد صبري
- أستاذ مساعد لطب وجراحة العين كلية الطب جامعة سوهاج .
- كاتب روائي ، وقاص .
- عضو النقابة العامة لاتحاد كتاب مصر .
- عضو عامل بنادي أدب سوهاج
- عضو نادى القصة المصري
- صدر له العديد من المؤلفات وتنوعت بين الرواية ، والقصة القصيرة ، والنقد الفني.

- مؤلفاته :

- رواية مغارة الجبل الغربي - ٢٠١٩

- مجموعة قصصية فرح ابن العمدة - ٢٠٢٠

- سينما يوليو... قراءة نقدية - ٢٠٢٠

- لعبة العروش وعلمنة الفن - ٢٠٢١

- رواية حفرة المساحيط - ٢٠٢٢

- نشرت أعماله في العديد من الصحف والمجلات منها (وجريدة أخبار الأدب ،
وجريدة القاهرة ، ومجلة أدب)

- نوقشت أعماله في العديد من القنوات الإذاعية ، والفضائية منها (قناة النيل
الثقافية ، والإذاعة المصرية إذاعة البرنامج الثقافي ، وجريدة أخبار الأدب ، و جريدة
القاهرة ، ومجلة أدب ، ونقد ومنصة "بانداروش" للأعمال الأدبية المسموعة على
منصة "يوتيوب وأبل ميوزك " وأنغامي .

المحتوى

- 4 الإهداء
- 5 شكر، وتقدير
- 6 تقديم بقلم الروائية الكبيرة أ/نادية شكري
- 8 مقدمة بقلم الكاتب
- 10 هل نسي الأديب المصري نصر أكتوبر المجيد...؟
- 17 أحلام راقصة، وثلاثية الحلم، والموت، والوحدة
- 22 دُمُوع "الجيوكاندا" وتجربة السجن والحرب والحب
- 28 الرحلة الأخيرة " المصريون يصعدون إلى الكوكب الأحمر....
- 34 رواية " السامر " محكيّة صعيدية لسامر الوحدة الوطنية
- 42 الكرنكي وأنسنة المكان؛ وكيف تحدثت شجرات البرتقال ؟
- 48 رواية " الفجر جرح أسود " ، ومرثية قوارب الموت

- المجموعة القصصية " جدار النار " ، وخيال علمي بنكهة عربية 54
- عندما جاء "تشيخوف" من قلب الريف المصري 60
- رواية " بكائية الصُعود إلى السماء " .. حينما تبكي الأم الثائرة !.. 68
- 74
- " غُرْفَةُ سِرِّيَّة " مجموعة قصصية بطعم السيرة الذاتية 74
- " وثالثهما القمر " رسائل شاطئية بطعم الألم البشري 80
- " حائرات " مجموعة قصصية بطعم الشجن 85
- وتوثيقية مجتمع مصنع "كيما" ، وتشيد السد العالي 89
- " من جراب الكُنْغُر " 97
- بَعْدَ الْغُرُوبِ وَمَضَاتُ قِصَصِيَّةِ بَرَايِحَةِ الْحَرْبِ 103
- خَوَاطِرُ فِكْرِيَّة "زوربا اليوناني" 109
- ضريح الشيخ "عيد فأنوس" مجموعة قصصية بروح الجنوب 117

- عِنْدَمَا يَتَّحِدُ الْأَدَبُ وَالْعِلْمُ 122
- مَسْرَحِيَّةُ "الْوَلَايَا" ، وَأَرْوَاحُ جَنُوبِيَّةٍ مُعَذَّبَةٍ 127
- مَعْرَكَةُ "دَرْنَةُ" مَجْمُوعَةُ قِصَصِيَّةٍ بِرَائِحَةِ الْوَطَنِ الْعَرَبِيِّ 133
- "نَجْعُ بَرِيطَانِيَا الْعُظْمَى" رِوَايَةٌ تُوثِّقُ تَارِيخَ الصَّعِيدِ الْمَنْسِيِّ . 139
- رِوَايَةُ " يَا عَزِيزُ عَيْنِي " ، وَرَصْدُ تَحَوُّلَاتِ الْقَرْيَةِ الْمِصْرِيَّةِ . 144
- د/ جِيكِل ، وَمَسْتَر هَايِد ، وَمَأْسَاةُ الْإِنْسَانِ الْمُعَاصِرِ 151
- الْمَجْمُوعَةُ الْقِصَصِيَّةُ "خَجَلُ التَّوْتِ" ، وَحِكَايَاتُ الْبُسْطَاءِ فِي . 156
- زَمَنُ أَكْتُوبَر "عَبْدُ الرَّحْمَنِ الشَّرِيفِ" 156
- "الْوَارِثُونَ" ، وَرِحْلَةُ كِفَاحٍ تَسْرُدُ حِكَايَةَ وَطَنِ 162
- السِّيَرَةُ الذَّاتِيَّةُ 171
- مَوَلَفَاتِهِ : 172